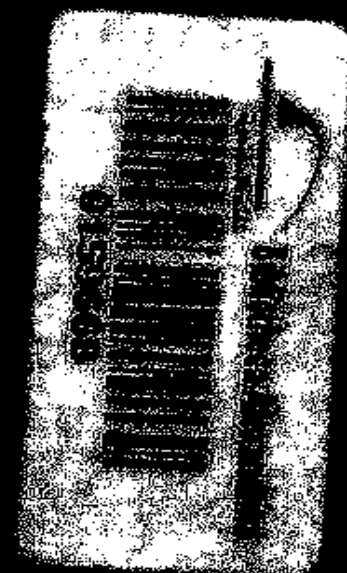




د. عبد الغفار مكاوي



الحكماء السبعة

د . عبد الغفار مكاوي



المكتبة والمركز القومي للمخطوطات والكتب النادرة

١٩٩٠

● الاخراج الفنى

● فائن رضا

الإهداء

الى ذكرى يوسف كرم
الفيلسوف الحق
والقدوة العالية
فى ايام صرعت فيها القيم
وغابت عنا القدوة ..

تقديم

كان افلاطون هو اول من ذكر الحكماء السبعة
واسماهم في محاورته « بروتا جوارس (٢٤٣ د) » ثم
جاء مؤرخ الفلسفة اليونانية ديوجنيس اللايرتى (حوالى
سنة ٢٢٠ بعد الميلاد) فروى في كتبه اللئيس (وهو
كتابه عن حياة الفلاسفة المشهورين وآرائهم) الكثير من
أخبارهم وحكمهم الموجزة التى تلخص تجربة حياتهم ،
وأورد أسماء السبعة المعروفة وقال ان آخرين يضيفون
اليهم اثنا خارسيس وميسون وفين يكيديس وابيمينيديس ،
وربما زيد عليهم اسم الطاغية بيزيستراتوس واسماء
أخرى تصل بهم الى ثلاثة وعشرين حكيمًا ! وتل
الناس يتناقلون انباءهم وحكاياتهم وكلماتهم من العصر
اليونانى الى عصر النهضة .

وكان من الطبيعي أن تتغير مسورهم وأسمائهم وتفسير الرواه لهم من عصر الى عصر ، حتى لقد وصل ذكركهم وطرف من اخبارهم الى الشرق فسجلت قصة من روائع الأدب الفارسي بعض اقوالهم الجامعة على لسان سندباد الحكيم والوزراء السبعة في كتاب السندباد (سندباد نامه) ، وأشار اليهم بعض فلاسفة الاسلام ومؤرخي الحكمة وطبقات الحكماء اشارات لاتخلو من الطرافة (كالبيروني والشهرستاني وابن النديم والشهرزوري والمبشر بن فالك) . .

لم يكن هؤلاء الحكماء فلاسفة بالمعنى الدقيق للكلمة . لقد كانوا - باستثناء طاليس ابي الفلسفة وصولون الشاعر والمشرع الاثيني المعروف - رجال عمل وبناء دول اشتهروا بالأمانة والصدق وقهر النفس واحترام القوانين . وكانت تجارب حياتهم - بين القرن السابع والسادس قبل الميلاد - التي تبلورت في حكمهم وكلماتهم بمثابة البذور التي نمت بعد ذلك في أشكال فكرية حية ، فأصبحت « اعرف نفسك » عند سقراط نظرية عن ارتباط الفضيلة بالعلم والمعرفة ، وتطورت « لاتسرف في شيء » عند ارسطو الى مايسمى بنظرية الوسط الذهبي ، وتغلغلت فكرتهم المحورية عن التزام الحد والاعتدال في روائع العقل والوجدان اليوناني في الفلسفة والشعر والناشيد الجوقة في المأساة . .

التقيت بالحكماء السبعة في سنوات الطلب قبل ما يزيد على الربع قرن . فقد هداني الحظ (في لحظة نادرة من تلك اللحظات التي يفتر فيها ثغره عن بسمة ضئيلة !) الى كتاب استوعب عباراتهم وحكاياتهم واخبارهم الأصلية وحققه ونشره العالم الألماني الأستاذ برونو سنيل (حياة الحكماء السبعة وأراؤهم ، ميونيخ ، سلسلة توسكولوم ١٩٥٢) ثم ظلت امواج الأيام والأحداث

تتقاذف قارب شوقي للكتابة عنهم حتى سألني زميل كريم أن أشارك في كتاب تذكاري عن مؤرخ الفلسفة العظيم وأستاذ الأساتذة المرحوم يوسف لكرم . وما كان لي أن أتخلف عن ركب الوفاء لهذا الحكيم الحق الذي كان وسوف يظل القدوة والمثل الأعلى ، خصوصا وأنا أشهد في جيلي وزماني مصرع الحكمة ومسئوليتها وتشويهاها على أيدي عدد من الصغار الذين ابتليت بهم وبدأت العمل في المشروع القديم . وما لبثت المادة المترامية الأطراف أن أقنعتني بالتخلي عن صورة المقال والبحث التقليدي وفرضت على هذا الشكل الذي يجمع بين النثر والشعر ، ويزاوج بين الفلسفة والمسرح ، ويمر في حياة الحكماء والتأمل في مصير الحكمة بعدهم إلى الحد الذي يحرمهم من الدخول بين دفتي ذلك الكتاب . ثم توالى أمواج الأيام والأحداث فعصفت بشراع حياتي في محنة شخصية فجعتني في بعض الزملاء والأبناء الذين توهمت ذات يوم أنهم نحر البقية الباقية من العمر .

وقد علمتني المحنة أن الشر والغدر التعمد وصمة على حبين البشرية كلها ، كما علمتني في الوقت نفسه أن الظالم والمظلوم والقاتل والمقتول صائرون في النهاية إلى التراب الذي يسوى بينهم على صدر أمنا الأرض . ومع أن المحن الشخصية لا تكفي لا قامة علم ولا فن ، إذ لا بد أن تجد معادله الموضوعي في شكل فكري أو أدبي باق ، وأن تبلور دموها في لآلئ صافية ، فقد دفعتني بقوة الضرورة القاهرة لاتمام هذا العمل الذي تراه بين يديك ، وهو عمل ربما أثار في نفسك - كما أثار في نفسي - شجونا تتصلل بمحنتنا العربية التي لا تخرج المحن الفردية والجماعية المتوالية

(*) هو الزميل الدكتور عاطف العراقي الذي أشرف على تحرير كتاب تذكاري عن المرحوم الأستاذ يوسف لكرم بتكليف من المجلس الأعلى للثقافة .

عن أن تكون صورا مصغرة منها ، وشظايا وشسرارات من نيران
جحيما الذي نصنعه لأنفسنا بأنفسنا ...

ربما سألتنى : لماذا الحكماء السبعة فى زمن تعلم أن الحكمة
نمايت عنه وصارت ضعفا واستسلاما أو ياسا وركودا وظلاما ،
وتحولت عند عدد كبير ممن جعلوها مهنتهم الى كتب ميتة ومذكرات
ركيكة واملاء وتلقين واجتراء وتكرار تجنى كلها على النشر جناية
لاتغتفر ؟ ماجدوى التذكير بهذه الشخصيات التى تنتمى الى حضارة
وثقافة أخرى فى ظروفنا الحضارية والثقافية التى أصبحت آزمات
تدهورها وانتهيارها غير خافية على أحد ؟ وهل تستطيع بعض
الشخصيات أو الكلمات المضيئة فوق بحار الظلمات التاريخية أن
تمد طوق النجاة للسفينة الغارقة ؟

إذا كانت الحكمة والحكماء قد غابا عن المسرح العالمى
والمحلى (باستثناء قلة من شسيوخنا ورعاتنا الأجلاء قد لا يزيد
عدهم عن أصابع اليد الواحدة) فإن ورثة الحكماء ، وهم المثقفون ،
وسيلة الحكمة ، وهى الثقافة ، يستحقان أن نقف معهم قليلا
ونذكرهما بالماضى العريق والأجداد المنسيين . وأسارع فأبشر
القارئ بأننى ، أكفيه وأكفى نفسى عبء الجدل المل العقيم عن
تعريف الثقافة ومقوماتها والفرق بينها وبين الحضارة والمدنية .
الخ وسأتجه مباشرة الى حملة الثقافة وهم المثقفون ، بل سأحصر
نفسى فى دائرة واحدة من دوائرهـم الكثيرة وهى دائرة المربين
والمعلمين - وأنا واحد منهم - ، لعلنا نستطيع أن نستوحى الحكمة
والحكماء ونقيم لأنفسنا محكمة نقف فيها أمام أنفسنا ونراجعها
ونحاسبها ، فمراجعة النفس ومحاسبتها ، بالمعنى الكونى الشامل ،
قد كانت على الدوام جزءا لا يتجزأ من الحكمة ..

لاشك فى أن التعميم يمكن أن يبتعد بنا عن الحق والإنصاف

ولا شك أيضا في أن حياة المثقفين في الظروف التاريخية الصعبة التي مرت بنا في العقود الثلاثة الأخيرة لم تكن سهلة ولا يسيرة ، بل كانت في معظم الأحيان شبه مستحيلة ، وأدت في كثير من الأحيان إلى شعور المثقف بالاغتراب المضاعف وكانت أن تصل به إلى حافة الجنون . كما أن الحياة في ظل النظم الفردية المطلقة التي غابت عنها الحرية والقانون قد أفرخت مسوخا شتى من الطفيليين والانتهازيين والرجسيين المتضخمين وتجار الكلمة والعلم وحياة الشعارات والمغازلين للسلطة بعين والتقدمية بالعين الأخرى ، حتى ليأخذنا العجب ونقلبنا الحسرة فنهتف مع الشاعر صلاح عبد الصبور (على لسان سعيد في مسرحيته ليلى والمجنون) : « ربي ! كيف ترعرع في وادينا الطيب ، هذا القدر من السسفة والأوغاد ؟ ! »

ومع ذلك فإن الظلام لم يستطع أن يطبق علينا تماما . فهناك إنجازات حقيقية في مختلف ميادين الإبداع والبحث العلمي قد تمت ، وروائع قليلة العدد قد استطاعت أن تبرز فوق مياه الطوفان وتتحداه . والذي يعصم النفس من الغرق في اليأس والحزن أن حياتنا لم تخل من المخلصين العاملين في صمت ، والمتقنين إلى حد الاستشهاد ، والمترفعين المتعفين مهما أصابهم من الضيق والضنك والأملق (وإن بقي علينا أن ندركهم قبل أن يهلكهم الموت البطيء بسموم المرارة والاحباط) .

بيد أن الأهم من ذلك كله أن مفاهيم الثقافة والعلم والتعليم قد أصبحت في أشد الحاجة إلى المراجعة الشاملة ، كما أصبحت نظمها ومناهجها وغاياتها وفلسفاتها — أن كانت هناك ثم فلسفات ! في حاجة إلى البداية من الصفر . وكما يحدث في أوقات الأزمات والمحن التي تلم بالأفراد والشعوب وتطرح فيها الأسئلة الكبرى

والنهائية ويتحتم على ملاحى السفن المهددة بالغرق ان يواجهوا
انفسهم بهذا السؤال : الى أين ينتهى بنا السير - ، كذلك تقتضى
الضرورة ان نسأل انفسنا : ماذا نعلم ولماذا نعلم ؟ هل استطعنا
ان نعلم الشباب ونتمى فيهم روح التفكير النقدى المستقل والبحث
المختصر من التميز والهوى ؟ هل حققنا اقل قدر من النجاح فى ازالة
الآوهام الراسخة وتحطيم الأصنام العقلية والتميزات البالية ؟
ولماذا أخفقت الثقافة والعلم فى تغيير واقع ملايين الناس ووعيمهم
تغيرا ملحوظا ، ولم تخط بهم خطوات ملموسة على طريق الحرية
والقدم والاستنارة ؟ هل اكتفينا بنقل المعلومات والمذاهب والنظريات
- وليته كان نقلا امينا فى كل الأحوال ! - وشاركنا ، عن قصد او
غير قصد ، فى قمع الفكر النقدى المستقل ، ومد قلال الركود
القبيح والتهوى والعناء على مجتمعاتنا ككل ؟ ألم يساعد ذلك فى
النهاية - بجانب عوامل تاريخية واجتماعية وسياسية معروفة
ولاحاجة لذكرها - فى ظهور تلك النباتات الشيطانية التى تشابكت
وتضخمتم فى حقل المعرفة والأدب والفن حتى أوشكت ان تحيله الى
غابة تمرح وتصفر فيها افاعى الانتهازية والتسلط واستغلال العلم
والعرفة فى جمع الثروة وممالة السلطة والسعار الى الشهرة
والمنصب والمجد الكاذب ؟ هل وعينا الدرس القائل ان المعلم فى
حاجة الى تعليم والمربي فى حاجة الى تربية فتحملنا المسؤولية
بشجاعة وتشبثنا بأعلام القيم فى زمن سقوط القيم ، وتمسكنا بالرأية
شان الجنود المناضلين ؟ وهل استطعنا اخيرا ان نقف متساندين جبهة
واحدة للضمير اليقظ كما وقف الحكماء والمعلمون الحقيقيون على
الدوام - لنرد المحنة عن حضارتنا التى يطبق عليها الحصار
وتتعرض للتصفية - لافعل الصهيونية والاستعمار وحدهما ! -
وتضطر الى التراجع والانكماش كأنها كائن خرافى ان اوان انقراضه

بعد أن لم يعد له مكان في عالم تجاوزه وأنكره وسخر منه ، اللهم
الا أن يصبح حقل تجارب من كل نوع ؟

قلت ان الظلام لم يطبق بعد . فما زال هناك أمل ولا بد ان
يكون الأمل . ان الكثيرين قد سقطوا أو تاهوا ، وكثيرون أيضا
قد تحملوا وصمدوا صمود الرواقيين في عصور الشك والياس
والوحشية والجبروت ولو قدر لحكمة هؤلاء الحكماء وغيرهم ان
تبعث حية لدت يدها لمن سقطوا أو تاهوا قائلة : ان كل شيء لم
ينته بعد . تعالوا الى طريقى ولنبدأ من جديد . فالأمر لا يتعلق بنا
بقدر ما يتعلق بحضارة تخترمها الكوارث وتنتظرها كوارث اكبر .
واذا اختنق الابداع وتهاوت ارادة الفكر الحر المستقل حكمت
الحضارة على نفسها بالانتحار . اما أولئك الذين تحملوا وصمدوا
فسوف تواجههم قائلة : ليست الشجاعة في الصمود والكبرياء
الجريئة فحسب . ان الشجاعة والحقيقة في تغيير الواقع بالفعل
اعلم انكم تعبتم وعانيتم . ولكن تذكروا عشرات من المفكرين الذين
انتهت حياتهم في السجن أو المحرقة على الصليب أو المشنقة انهم
لم يفاجئوا في لحظاتهم الأخيرة بالشر والغدر ، وان لم يتوقعوا ان
يصل الى ما وصل اليه من القسوة والخسة . ومع ذلك لا يصح ان
تنسوا أن بقايا رمادهم هي الأرض التي تقف عليها الحقيقة والحرية
والأمل في التطور ، ولولا انوار ابداعهم وكفاحهم لصار تاريخ
البشرية ظلمات فوق ظلمات . .

ان الحكم التي ستقرؤها على السنة الحكماء السبعة لا يمكنها
بطبيعة الحال أن تثير كل هذه الأسئلة أو توحى بكل هذه القضايا
والمشكلات . فلا بد من الاعتراف بأن بعضها سخي وساذج ،
وبعضها الآخر مجرد وصايا عملية ترتبط بالعادات والتقاليد
الشعبية في ذلك العهد البعيد من عهود الحضارة الاغريقية المبكرة ،

ثم ان اروع اقوالهم - مثل اعرف نفسك وابتغ الحد والقصد فى اكل شىء وادرك قيمة اللحظة ٠٠٠ الخ - يمكن أن تفسسر ، وقد فسرت بالفعل ، تفسيرات متنوعة ، ولكن المهم بعد كل شىء هو قراءة هذه الحكم الماضية على ضوء الحاضر . واذا كان الماضى لا يعود ولا يتكرر أبدا ، فان نفس المشكلات والأخطار يمكن أن تواجه الشعوب والحضارات المختلفة عندما تجد نفسها على مفترق طريق تاريخى يقتضى حكمة جديدة يحققها حكماء من نوع جديد . واذا كان العلم قد حل اليوم محل الحكمة القديمة ، فان من واجب العلماء والمعلمين أن يضيفوا عليه كبرياءها وجلالها وإخلاصها فى السعى الى الحقيقة المنزهة . ولا بد كذلك أن يعيدوا اليه دورها العريق فى انقاذ المدينة والدفاع عن أسوارها وحرية أهلها ٠٠٠ لقد قيل ان الأنبياء غير المسلحين يخفقون دائما (مكيا هيللى) . ومع أن المثقفين الذين نقصدهم قبل غيرهم ، وهم العلماء والمعلمون ، ليسوا سسلا ولا انبياء - على الرغم من بيت شوقى المشهور الذى لم يعد أحد يصدقه أو يأخذه مأخذ الجد ! - فان سلاحهم الوحيد الذى لايجوز أن يتخلوا عنه هو الشجاعة . فلا قيمة لعلم أو فكر لا يؤصل الحرية ، ولا جدوى من تعليم فقد شجاعة التساؤل والنقد المستقل . ولذلك لم يدهشنى كثيرا أن أكتشف بعد الفراغ من كتابة هذه الحوارية أنها تنتهى بسطور تتردد فيها أصداء أبيات من قصيدة شهيرة عن يوميات نبي يحمل قلما ينتظر نبيا يحمل سيفا (من مسرحية ليلى والمجنون لصالح عبد الصبور) . ولا تريد هذه السطور الغاضبة أن تهاجم أحدا ولا أن تدين وضعاً محددا . وهى كذلك لا تهدف الى تعرية جوانب ضعف لا يخلو منها البشر بحكم طبيعتهم البشرية ، كما أنها بعيدة كل البعد عن أن تضع على رؤوس المثقفين أو المعلمين هالة شاعرية وهمية . ان الأمر فى الواقع لأكبر من ذلك وأخطر ،

لأن الخطر الذى يتهدد حضارتنا يتخلى الاشخاص والظواهر والأوضاع المحددة بالأزمان والبلدان . وقد أكدت السطور السابقة أن المثقفين والعلماء والمعلمين بوجه خاص هم ملاحو السفينة الموشكة على الغرق .

واليوم ان الأوان لكى يوجهوا السفينة ويصححوا اتجاهها ويوقظوا ركبها . ولن يقدروا على ذلك حتى يبدأوا بانفسهم ويستيقظوا من سباتهم ويحاسبوا ضمائرهم ويراجعوا علمهم ومعرفتهم وفكرهم وسلوكهم . فإذا استطاعت هذه المحاورات مع الحكماء السبعة أن تدعوهم الى محاورة النفس وتذكرهم بأن الحكمة لم تمت ولا يمكن أن تموت ، وأنها تحيا وتتجدد وتقاتل عند الضرورة كلما أرادوا الحياة لأنفسهم وحضارتهم وثقافتهم - إذا استطاعت أن تحقق شيئا من ذلك فقد بلغت غاية ما أتمناه .

عبد الغفار مكاوى

الحكماء السبعة

- ١ -

● المؤرخ يقلب فى الأوراق ، يجمع الوثائق
ويتحقق من الحقائق التى اختلطت بالغرائب والخرافات
والأساطير وحكايات الخوارق • وعندما يدلهم الأفق
وتأخذه الحيرة من كل سبيل يرفع صوته : يا أشباح
الزمن الماضى ، من عمق القرن السادس قبل الميلاد •
صوت من زمن المحنة يدعوكم فاستمعوا له • شسبح
يتشبث بالصدق وبالحكمة فى عصر الكذب الشائن
والفسر الخائن ، يرجو أن يتحاور معكم ، أن يسالكم
وتجيبوه • وتتزاحم الأشباح وترتفع الأصوات • السبعة
صاروا سبعة عشر وأكثر • والحيرة تزداد عليه فيهتف :

المؤرخ : عشتم مثلى فى زمن المحنة • والمحنة عاناها الشعر وقاستها
الكلمة • فى العقود الأولى من قرنكم السادس كانت أصوات
الشعراء ماتزال عالية شجية : سافر والكايوس من جزيرة

لسبوس سيمونيدس وميمنيروس من أيونيا ، صولون الشاعر
والمشرع الشهير من أثينا . لكن لا بد أنهم قد ماتوا جميعا
قبل انتصاف القرن ولم يخلفهم أحد . ولا بد أن الجيل الذي
تلاههم قد خبت فيه نار الشعر وخرست قيتاره ، حتى حلت
سنة ٥٣٠ فانطلقت شرارته المقدسة من جديد . هذا الجيل
المجذب هو الذي ازدهرت فيه حكمتكم . حكمتكم التي لم تكن
شعرا ولا فلسفة ، بل تجسيدا للفطنة والخبرة والتجربة
العملية . .

الحكماء : تتسرع في توجيه التهمة وتضمن علينا بالحكمة . مع أنا
منذ القدم نسمى الحكماء .

المؤرخ : معذرة . أنا لا أتهم ولا أداغ ، بل أتلصص آثار الحكمة أو
أبكي فوق الأطلال . ما ذنبى إذا كان عصرى هو عصر سقوط
القيم وزمنى ضاعت فيه الحكمة والعقل ؟ ما ذنبى أن كانت
كتب التاريخ تمجدكم أحيانا أو تبخل في أحيان أخرى فتسميكم
الرجال الأذكياء ؟ هلا أجبتكم على سؤالى ؟

الحكماء : لاندري كيف نرد عليك . ربما لأن الواقع العملى فى أيامنا
بدأ يفرض سلطانه فازدري الشعر ، واستصغر شأن الكلمة ،
وأخذ يولى وجهه شطر حقائق الحياة . .

المؤرخ : ربي . هذا مانلقاه الآن .

الحكماء : اتدين زمانك وزمانى ؟

المؤرخ : لا لا . بل أهنئ من عجز لسانى وجنانى . أكمل قولك . .

الحكماء : أو لأن العاطفة الدينية شطت فى التحليق حتى تاهت
وسقطت فى الهاوية العميقة التى تستعصى على العبارة
والخطاب .

المؤرخ : مهما يكن الأمر فقد راجت حكمتكم ..

الحكماء : حكمنا ؟ ما أنت تعود الى الحق . لقد تناقلتها الافواه فلم تكن بحاجة الى التدوين ، اللهم الا على أحجار «أوستيا» (١) أو على جدران معبد «دلف» . ولهذا ليس عجيبا ان ينسبها الاغريق الى الاله أبوللو أو الى جنى بحرى حكيم كانوا يدعونه عجوز البحر الالهى ..

المؤرخ : معنى هذا أنها وجدت قبل وجودكم ؟ . انتظروا .. لقد وردت فى اللوح الحادى عشر من ملحمة جلجاميش البابلية سيرة سبعة حكماء أسسوا مدينة أوروك . كما تلقى حكماء الهند السبعة الذين يسمون «الريشى» الحكمة وفن الغناء من الآلهة ، ووسع شاعركم هوميروس مجلس حكماء سبعة تحت تصرف أجاممنون وبرياموس (٢) . حكمتكم أقدم مما أتصور أقدم مما كنت أقدر ..

الحكماء : ولكن لم يتأكد صدقها الا بنسببتها اليها . نحن الذين كافحنا وأسسنا وتجولنا فوق الأرض الغانية بدمنا ولحمنا ..

المؤرخ : ورفعتهم لمصاف الأبطال ونسجت حولكم الحكايات والخرافات ..

الحكماء : هل يقع الذنب علينا ؟ كنا بشرا مثل البشر ، صممنا لأعاصير الزمن النقلة ، أعطينا بناء حياتنا وحياتنا حياة شعوبنا . اتلومنا لأن الناس جللت رؤسنا بغار الحكمة الذى بخلت به على رعوس الشعراء ، أم لأن الأفكسار العظيمة لا يصدقها الناس حتى ينسبوها الى عظيم حققها فى الواقع ، أم لأن الحكايات والخرافات والأساطير عادة ما تغزل خيوطها بعد موت أبطالها (٣) ؟ أولا يكفيننا ان حكمتنا راجت ..

المؤرخ : بل مازالت رائجة وعلى كل لسان ، انتشرت بين الأمم وفى
مختلف الأزمان ...

الحكماء : حكمتنا راجت فى قرن سكنت فيه أوتار الشعر ..

المؤرخ : وبدأت تزدهر شجرة الفلسفة ..

الحكماء : الفلسفة ؟

المؤرخ : صفة أخرى للحكمة .. ولحب الحكمة .. كان من الممكن
ألا تبدأ لولاكم . كان من الممكن ألا تزدهر الشجرة لولا
البذرة ..

الحكماء : والبذرة ألقيناها فى التربة هل مازلت ترضى علينا ؟

المؤرخ : لست أضمن عليكم بالحكمة ، لست بخيلا باسم الحكماء .
لكن التاريخ يحيرنى وتحيرنى الأسماء . حتى العدد اختلفت
فيه الآراء ..

الحكماء : هذا ليس جديدا . من منتصف القرن السادس قالوا سبعة
زادوا العدد فقالوا سبعة عشر حكيمًا .. ليس جديدا ما نسمعه
منك ..

المؤرخ : بل ما تشهد به الوثائق أو تشهد عليه . مع ذلك تتردد فيها
أربعة أسماء . صولون المشرع ..

صولون : والشاعر أيضا . لاتنس .

المؤرخ : كيف لأحد أن ينساك ؟ الشك يحيط بأخبار الحكماء الستة ،
أما أنت فرأس الجبل يطل على تاريخ اليونان ..

صولون : رأس الجبل ؟ كلامك هذا يضسحكنى .. مع أن الكاهن

العجوز في مصر قال لى : يا صولون ! يا صولون ! ستبقى
على الدوام أطفالا أيها الاغريق ، اذ لا يوجد شيخ اغريقى .

المؤرخ : تلك رواية أفلاطون (٤) . لكن حفظ التاريخ لنا اشعارا منك .
صولون : هل تذكرون مرثيتى التى بدأتها بهذه السطور :

الآن عرفت الأمر ،

والالم عميق فى أعماق الصدر ،

وانا أشهد أكبر أبناء أيوبنا ينهار ويدحر ..

المؤرخ : هكذا بدأتها بعد أن اشتد النزاع فى الدولة ، واستعبدت
الأقلية أغلبية المواطنين . وثار الشعب على الاغنياء والأعيان .
احتدم الصراع بينهما وطال . وانتخبوك رئيسا وقاضيسيا
يفصل بينهم . وكلفوك بتدبير نظامهم ووضع دستورهم . كنت
حكيمًا ورحيمًا ، لم تؤثر أى الحزبين على الآخر ، فوقفت فى
صفهما ونصحتهما بالمصلح ووقف الصراع . كان الكل يجلك
ويقدر موهبتك ، مع أنك لم تكن أغناهم أو أرفعهم فى المنصب
والجساد . ورحمت تحذر الأغنياء من التشرّف والتطرف ،
وتنصحهم بالتواضع والاعتدال ، وتلقى الذنب عليهم وعلى
تكبرهم وجشعهم الى المسال فيما حاق بالمدينة من خراب .
اسمع شهادة حكيم آخر بعدك : حرر صولون الشعب فى
الحاضر والمستقبل عندما حرم اقتراض المال فى مقابل رهن
الجسد ، وضع القوانين وأصدر تشريعا بالاعفاء من الديون
العامة والخاصة أو بنقض الاعباء (٥) ..

المؤرخ : وبنكرنا هذا باسم آخر ..

بيتاكوس : بيتاكوس من ميثيلينه ، سمونى الطاساغية وكنت رحيمًا
بالأوغاد ..

صولون : طاغية ورحيم .. حقا ما أغرب هذا !

بيتاكوس : وماوجه الغرابة ياصولون ؟ أنت نفسك سمعت عنى كما سمعت كلمتى ..

صولون : لما بلغنى قولك : من الصعب أن يكون المرء طيبا ، أعجبتنى حكمتك وقلت : ومن الصعب أن يكون جميلا

بيتاكوس : وهل عرفت متى قلتها أو كيف ؟ لقد رأيت أعدائى يتكاثرون ولتحظت الكراهية فى عيون الشعب الذى أنصفته وكافحت لكى أرفعه من هذه يؤسه ، وفى ضمائر الأغنياء والنبلاء الذين قلعت مخالباهم من أجله . ونفيت بعضهم من المدينة فأخذوا يهدوننى ويتآمرون على قتلى . واشتد بى اليأس فذهبت الى معبد الاله وتوسلت امام المذبح أن يحررنى من السلطة ..

المؤرخ : نعم نعم . أدركت صعوبة أن يكون الانسان طيبا فى عالم شرير .

أدركت بأن الحساكم مهما فعل يظل كرها مكروها ..
فالأغنياء كرهوك لأنك وقفت بجانب الشعب وانحدرت من صلبه . والشعب كرهك لأنك كنت فقيرا مثله وجلست على كرسى الحكم ..

وردد الجميع أغنية تسخر منك :

أطحنى أيتها المطاحونة أطحنى

فقد كان بيتاكوس نفسه يطحن

بيتاكوس الملك فى ميتيلينه العظيمة

طاليس : سمعت الأغنية بنفسى لما زرت جزيرة لسبوس وتوقفت بقرية أريسوس .

بيثاكوس : هل سمعت كذلك أناشسيد الحقد والهجاء التي أطلقها
الشاعر الكايوس وعصابتة ؟ أنا لم أكرهه ولم أكره شعره .
تمنيت أن يضع يده في يدي ويساعدني مع غيره من النبلاء
على النهوض بالمدينة . لكنهم أذكروا عدلى وشجاعته التي
اعترف بها الاغريق في كل مكان . لم يفتفروا لى أبدا لأننى
تزوجت امرأة من طبقتهم هى ابنة دراكون ومن نسل
الأتريديين ، وأخذ الشاعر الحقود يعيرنى بقدمى المفلطحة
التي كنت أجرها بصعوبة ، ويصفنى بالدعسى والمتسسخ
والمبطون . بل اشاع أننى أوفر ضوء الصباح وسمانى ملتهم
الظلمات . .

المؤرخ : ولهذا نفيتك عن المدينة ولم ينقطع هجاءه ولا دعواته للآلهة
أذقوا بأن يخلصوه من محنة النفس ومرارته ، ويطلقوا
ربات القصاص عليك ، ويعينوه وعصبتك على قتلك بالسيف
وتحرير الشعب من آلامه ومخاوفه ، زاعمين أنك حنثت بالقسم
الذى قطعته على نفسك وابتلعت المدينة فى جوفك . .

بيثاكوس : ومع أنى عفوت عنهم بعد القبض عليهم . . فلم يرحمنى
التاريخ من وصمة الدغيان . . .

المؤرخ : ولا رحمك المؤرخون . . فاللقب ارتبط باسمك فى كل
الأمور . أما « بياس » التاضى من آسيا الصغرى فقد
سما عليه الزمن بلقب الحكيم . .

بياس : معظم الناس أشرار . هذا ما قلته . لما حاصر إلياتيس ملك
الليديين مدينتنا بريينيه أصدرت الأمر بأن يعلف بغلان الى حد
التخمة ويساقا الى معسكر الأعداء . وفزع الملك حين رآهما
وعرف أن لدينا من مخزون الغلة ما يكفى حتى الحيوانات .
ولهذا بعث الينا رسولا يطلب السلم والسلام . .

المؤرخ : وكيف لفظت الأنفاس ؟

بياس : اسمع يا ولدي • لما شخت وطعنت بي السن استدعيت
للسهادة أمام المحكمة • وتكلمت وأبرأت المظلوم من التهمة •
وانطلق محامي الخصم وأخذ يدافع عنه فسئمت • وأملت الراس
على حجر حفيدي حتى نمت • • هل بلغك يا ولدي ما فعلوه
بالمظلوم ؟

المؤرخ : براء القضاء من التهمة ، ثم وجدوك ميتا على حجر
حفيديك • •

بياس : حمدا للآلهة فقد صدق كذلك ماقلته : ان أردت أن تقيم في
مدينة فكن طيبا مع جميع المواطنين (١) •

المؤرخ : بكلمة بليغة من رجل خلدته البلاغة • • والاسم الرابع هو
طاليس الملطي • •

طاليس : أول من نقى الحكمة من سحب الاسطورة وضباب الغيب •
أول من سأل سؤال العقل عن المبدأ والأصل وقال • •

المؤرخ : أصل جميع الأشياء هو الماء ، بالآلهة امتلأت كل الأشياء • •
طاليس : وكذلك قلت : أعرف نفسك •

المؤرخ : أنت القائل أم نقشت قبلك فوق جدار المعبد في دلف ؟
ما أعماها كلمة ! لكن تتنازعها الأسماء • •

بيرياندر : أي جحود هذا ؟ كيف نسيتم اسمي ؟

الحكماء : مهلا يا بيرياندر • هل ينسى الطاغية القاسي من كورنثه ؟
من بلغ الذورة في القسوة ولهذا احتاج الى الحرس الفاخر ؟

المؤرخ : وكان قوامه ثلاثمائة من حملة الدروع والحرايب .

بيرياندر : أتذكرون صرامتى وتثسسون عدلى ؟ لقد حرمت على المواطنين أن يكون لهم عبيد . نهيتهم عن تبديد الوقت فى اللهو والفراغ وأوجدت لكل منهم عملا . أعلنت الحرب على الترف وعاقبت المتسكعين فى الأسواق . لم أثقل على الناس بالضرائب واكتفيت بما نحصله من السوق والميناء . وزعت أراضى النبلاء على الفقراء . لم اتخط حدود العدل ولم اتعد على انسان . وكرهت الشر والقيت القوادات بقاع البحر ! أنسىتم كيف صالحت بين أهل ميتيلينه (تحت قيادة بيتاكوس) وأهل أثينا (تحت زعامة فرينون) عندما تصارعا على ملكية « سيجايون » ، غفصت بينهم بالحق ، واحتفظ كل منهم بما كان يملكه ؟ لقد ازدهرت فى عهدى التجارة والحضارة . يكفى أن الشاعر « أريون » كان صديقى !

المؤرخ : أريون الميثمينى من أمالى لسيديوس ؟ من تمت فى عهدك معجزته ؟ أشجى الأصوات غناء فوق القيثارة وأول من أنشد شعر الديثيرامب وسماه وقدم جوقته فوق المسرح فى كورنثه ؟ لا لن ينساك التاريخ ولن ينساه . لن ينسى معجزته التى رواها علينا أبو التاريخ إذا استقل مركبا كان عليها قراصنة ولصوص تأمروا عليه عندما ظنوه يخفى الكفوز ، مع أنه لم يكن يملك الاقيثاره ! وانطلق يغنى عل غناء الشاعر يسكت فيهم نزعات الشر . جاء الدلفين - صديق الانسان على صوت غنائه . وسرعان مالقى الشاعر بنقسه على ظهره فحمله الى البر ورسا به على رأس تاتياروس . .

المؤرخ : لا لم ينس التاريخ . . وكذلك يذكر قولك : كل شىء يرجع الى المران . لكن سؤالا يحضرنى الآن . .

خيلون : قبل سؤالك ، هل يمكن أن تهمل اسمي ؟ أم تهمل تحذيري :
أن ضمنت خيرك حلت بك المصائب . أو لم يبين أهالي اسبرطة
لى المعبد فى الطريق من المغزل الى ابواب المدينة ؟

المؤرخ : وهناك قدسوك ورفعوا ذكر البطل الخالد . . . لكن أرجع
لسؤالى : لم أثرت هذا الكلم الموجز ؟

الحكماء : من يستحسن شأن الكلمة يقتصد فى استعمالها . كانت
أيامنا توجب العمل وحسم القرار ، ولهذا بقيت كلماتنا القليلة
قواعد لهداية الحياة ، تحذيرات من الوقوع فى الأوهام الساذجة
والتسرع فى الثقة بالناس ، نصائح باللجوء الى التحفظ
والحرص والاعتدال والتزام الحد . .

المؤرخ : لكن بالغتم فى الإيجاز . يكفى أن يروى الشاعر « الكايوس »
هذه الكلمة التى يقولها على لسان « أريستوداموس » الذى
ضم اليكم فى العصور المتأخرة : « الرجل - المال (٨) » - وأن
يضيف الشاعر « يندار » وكأنه يشرحها : قال هذا عندما
اختلفى أصدقائه مع اختفاء أمسلاكه . . . يكفى أيضا أن تقرأ
كلمات أخرى توحى بقتلكم فى الإنسان ورؤيتكم للوجه الشائه
خلف قناع البهتان : « لا تتطرف فى شيء . » ، « صعب على
المزم أن يكون طيبا » « الحد هو الأفضل » ، « أغلب الناس
أشرار » . .

الحكماء : هل آمنت بما قلناه ؟ هل صدقت الحكماء ؟

المؤرخ : بل صدقت الأيام الصعبة والأرزاء . مع ذلك فالحكمة أوسع
من هذا . .

الحكماء : لم تكن الحكمة فى أيام المحنة شيئا يختص به الشعراء

أو الحكماء • كانت ملك الشعب العامل والفقراء • فالنجار
البارع يبني سقفا يصمد للعاصفة فيصبح أحد الحكماء ••
وكذلك شأن الحوذي أو الخباز أو الملاح أو الشاعر والفنان ••
هل مازلت تسييء الظن ، توازن بين الآراء •••

المؤرخ : الحكمة والحيرة صنوان •••

الحكماء : فانظر في الأوراق وراجع • وأبدأ قصتنا بالقول المحكم
والكلم الرائع • قد يقطع ذلك شكك ويزيل الحيرة ••

المؤرخ : أو ينفع جيلا قد بيعت فيه الكلمة بفتات زائل ، والحكمة
صرعت بسهام الخسة والفدر القاتل •••

الحكماء : ولهذا تبقى الحكمة •••

المؤرخ : في جوف الكتب المنسية ••

الحكماء : أو أعماق القلب •• أبدأ يا ولدي •• أسمع جيلا يفتقر
لحب الحكمة ••

المؤرخ : أو يفتقر الى الحب ••••

- ٢ -

المؤرخ : اه ! .. تتضارب كل الأقوال وتتناقض كل الآراء . الأسماء
مختلف عليها من كاتب الى آخر ، والقول الواحد قد ينسب
الى أكثر من واحد ...

طاليس : اعرف نفسك .. هذا ماقلت ..

المؤرخ : بل هذا ما تتحسره أنت وبعض الكتاب . هل تعلم أن
« تيوفراسط » يرجح أن يكون مثلاً شعبياً من قديم الزمان .
وان بعض المؤرخين يرجعه الى زميلك خيلون ، والبعض الآخر
ياتى به على لسان خصى مغمور كان من حراس قدس الأقداس
فى معبد دلف ؟ بل ان أرسطو فى محاورته عن الفلسفة ينسبها
الى عرافة هذا المعبد (١) ، وكل هذا يؤكد أنها كانت قد نقشت
قبلك وقبل خيلون الاسبرطى على معبد دلف قبل أن يدعيها
كلاكما لنفسه .

خيلون : أنا لم أدع شيئاً .. بل قدمت النذر ووفيت العهد . فبعد
أن وصلت الى دلف وضحييت وأحرقت البخور أمرت بأن تحفر
هذه الحكم على عمود المعبد : اعرف نفسك ! لا تنظر فى
شئ ! سبب المصائب أن تضمن غيرك !

طالبيس : حتى هذه المحكم تقال على لسان غيرك وغيرى . .
المؤرخ : فلنقرأ ما اتفق عليه الاجماع ، فى اقدم قائمة بالاسماء
والأقوال . .

طالبيس : قل وبييتف نكل منا باسمه !

المؤرخ : اعرف نفسك !

طالبيس : طالبيس !

المؤرخ : لا تتطرف فى شىء !

صولون : صولون !

المؤرخ : ان تضمن غيرك فتوقع كل مصيبة !

خيلون : خيلون !

المؤرخ : اعرف فضل اللحظة . .

بيثاكوس : بيثاكوس . والأفضل من هذا : اللحظة ان وانتك فلا
تتركها تفلت منك !

المؤرخ : معظم الناس اشرار .

بياس : بياس . عن تجربة ، وبحق زيوس ، ما قلت !

المؤرخ : كل شىء يرجع للمران .

بيرياندر : بيرياندر . عن تجربة أيضا ، والآلهة شهود !

المؤرخ : تبقى حكمة كل الحكمة ، قائلها المجهول يلخص فيها . . .

كليوبولوس : كليوبولوس . هذا هو كليوبوليس ! كيف تجاهل هذا
الزمن الجاسد ابن أويجاروس ، من لندوس فوق جزيرة

رودوس ؟ كيف تناسى من كتب النقش على قبر ميداس الملك
الأسطوري ٠٠

المؤرخ : ميداس ؟ من أعطاه ديو نيزيوس أن يتحول ما يلمسه ذهباً .
صولون : حتى المطاعم والمشرب . مسكين ياميداس !

كليوبوليس : كانت فوق القبر المشهور فتاة أخذت شكل الهولى ،
ولهذا قلت : فتاة من البرونز أنا وأرقد على قبر ميداس ،
مادام الماء يسيل ، والشجر يخضر ، والقمر يطلع ويضىء ،
والشمس تنير الكون ، مادامت الأنهار تتدفق ، وموج البحر
يوشوش للشاطئ ، فسابقى فى هذا الموضع ، فوق التل
المرتفع على المنطقة المنكوبة أعلن للعابر ولكل مسافر هاهنا
يرقد ميداس تحت الثرى

المؤرخ : لم ينس التاريخ كذلك أشعارك ، لم تتسرب الغازك من
كفيه ٠٠

صولون : لكن تبقى حكمته اخذ ما قال ٠٠

كليوبوليس : قلت من الحكم كثيراً ٠٠ آية واحدة تقصد ؟

المؤرخ : الحد هو الأفضل ٠٠

الحكماء : مى حكمتنا ، كنز العقل الاغريقى وآية وجدانه ، لكلمته
للعالم أجمع .

المؤرخ : ولهذا ليس عجيباً أن ياتقط الحكماء الكلمة ، من كل
الأجناس وكل الأديان يقول العقلاء فلا يسمع قول : لا تتطرف !
لا تشتت ! الزم حدك ٠٠ واعرف أنك انسان ٠٠

الحكماء : انسان فان . لست الها ، فتذكر هذا واترك سيف الطفيان ،
يسقط من يدك فلست سوى بشر فان !

- المؤرخ : حقا ! هذا شيء اكدتموه ايها الحكماء واجمعتم عليه .
وعندما اجتمعتم كما يقول القدماء ..
- الحكماء : اجتمعنا ؟ اجل اجل ! عند الملك كرويزوس ..
- المؤرخ : او قارون . اشئى ملك فى عصره ..
- الحكماء : وتكلم صولون فقال :
- صولون : انا ؟ للملك كرويزوس . ذاكرتى ضعفت يا ولدى ..
- المؤرخ : ساذكرك فأنصت ..

- ٣ -

المؤرخ : كانت أعينكم تلتفت الى الشرق الساحر باستمرار ، الشرق
الغامض ذي القوة والقرف الباذخ والجبروت .

الحكماء : لكننا ذهبنا اليه لتتعلم أيضا .

المؤرخ : وتعلمتم الكثير . وان كنا نفتقد الأدلة والأسانيد .

طالبيس : أنا مثلا سافرت الى مصر .

المؤرخ : وتعلمت الرياضة وجلبت الهندسة الى الاغريق . اما
انت .

صولون : أنا طوقت بأسيا لأشاهد هذا العالم . وحديثي مع كاهن
مصر الشيخ حديث مشهور . كم يعجبني حين أفكر فيه
الآن .

الحكماء : أنا مازلنا أمثالا ؟ . رغم مرور قرون وقرون ؟

صولون : ولماذا الغضب وقد صدق الشيخ ؟

الحكماء : أم سخر لكعادة أبناء النيل ؟

صولون : بل صدق وحق زيوس . وامتدح الاغريق مديحا أتمنى
لو كانوا أمثاله . أطفال نحن وفي كل منا طفل .

الحكماء : ونريد من الحكماء السبعة ان يصدقوه ؟ انت يا صولون ؟
صولون : من قال بان الحكمة تعنى العجز او الشيخوخة ؟ من ينكر
حكمة الطفولة وطفولة الحكمة ؟ اليست حكمتنا فى بساطتنا ،
وبساطتنا هى التى جعلتنا نصمد لتحدى الملك الجبار ونواجه
قوته وغناه الفاحش بالبراعة والقناعة والحكمة ؟

المؤرخ : معذرة يا صولون . ولقد أدهشسته بالبراعة الحكيمة او
بالحكمة البريئة وتعجب مما قلت وغضب وثار . نريد الآن أن نعرف
ماذا قلت لهذا الملك وماذا قال ، كيف التقيت به وأين كان
اللقاء . .

صولون : لم أره وحدى . طلب لقاء الحكماء السبعة .
المؤرخ : وذهبتم لزيارته . وذهلتم لما رأت العين كنوزه .
الحكماء : ورثينا له . .

المؤرخ : لأغنى ملك فى الأرض ؟

الحكماء : ورفضنا أن يوصف هذا الملك بأسعد انسان . فليتكلم
عنا صولون . .

المؤرخ : أرجوك . . تكلم . . .

صولون : لما فرغ كرويزوس من اخضاع آسيا الصغرى بأكملها وضمها
الى مملكة الليديين ، زحفت حشود الاغريق الحكماء الى
عاصمة ملكه المزدهرة سارديس ، وزحفت كذلك معهم . كنت
قد ذهبت الى مصر التى يحكمها امازيس وشاهدت العالم
وتجولت فيه عشر سنوات . واستقبلنى الملك فى قصره مع بقية
اخوانى فأحسن الاستقبال . وفى اليوم الثالث لزيارتنا أمر

الملك خدمه وعبيده أن يأخذونا الى دهاليزه ومخازنه لتتفرج على التحف والكنوز التى اودعها فيها . ثم رجع بنا الخدم والمبيد الى قاعة العرش حيث كان الملك يجلس فى ابته محاطا بأعوانه وقواده وأعيان مملكته . لم يك يرانى حتى هتف صائحا : « ايها المضيف من أثينا . وأنتم ايها الضيوف ! وصلتنا عنكم وعن حكمتكم الأخبار . وسمعنا عنك ياصولون وعن أسفارك التى قمت بها حبا فى الحكمة . والآن تحركنى الرغبة فى أن أسألك : هل رأيت فى أسفارك احدا يمكن أن يوصف بأنه أسعد انسان ؟ » .

لم يخف على أن الملك وجه الى هذا السؤال وفى نيته أن أقول أنت ايها الملك الفنى العظيم أسعد انسان . لكنى لم أتملقه بل صارحته بحقيقة رأى : ايها الملك ! انه تيلوس الأثينى ! « تعجب الملك من قولى وأسرع بالسؤال : « وكيف حكمت بأن نياوس هذا هو أسعد انسان ؟ » قلت : « عدة أسباب يا مولاي . أولها أن كان لتيلوس هذا عدة أبناء تحلوا بالذكاء والصلاح والجمال ، ولقد سعدت عيناه برؤية أبنائه هم فى حياته . والثانى أن الرجل بعد أن تقدم به العمر وعاش أطيب حياة ممكنة مات كذلك فى النهاية أروع ميتة ممكنة . فقد شارك مواطنيه الأثينيين فى الحرب التى اشتبكوا فيها مع جيرانهم فى ايلويزيس ، وطارد الأعداء الذين فروا مهزومين ، ومات أثناء هذه الماردة أجمل ميتة . ودفنه الأثينيون حيث سقط صريعا على نفقة الدولة ، وكرموا وأقاموا له طقوس التوديع والاحلال » .

استمع الملك الى قصة تيلوس وهو يعرض على شفتيه وأسنانه . سكنت قليلا ثم غالب غيظه وسأل . « ومن هو أسعد انسان

رايته بعد تيلوس ؟ « قلت : « هما اثنان أيها الملك العظيم . »
قال في لهفة : « احك على قصتهما ياصولون » . قلت : هما
كليوبيس وبيتون . كانا من حيث المولد من أرجوس ، ولهذا
وجدا مايكفيهما للحياة . وكان كلامهما حسن الصورة قوى
الجسد ، وحصلا على جوائز كثيرة فى المسابقات الرياضية .
تسألنى يا مولاي أن أحكى قصتهما ؟ اتها سيغنيانى عن هذا
ويرويان القصة بنفسهما .

كليوبيس وبيتون : كان أهالى أرجوس يحتفلون بعيد هيرا ، ربة السماء
وسيدة الآلهة وشقيقة زيوس وزوجته . وكان علينا أن نذهب
بأمتنا المريضة الى معبد الالهة للتبرك وزيارة قدس الاقداس .
لكن الثيران التى تجر العربى التى تستقلها لم تكن قد رجعت
بعد من الحقل . وضاق الوقت عن الانتظار فوضعتنا رقابتنا فى
النير وجبرنا العربى التى حملتها الى الاحتفال مسافة خمسة
وأربعين فرسغاً (١٠) حتى بلغنا المعبد . ورأنا الناس على
هذه الحال فهللوا . لكن الأنفاس تخذت عنا فخذمتنا حياتنا
الفانية أجمل ختام . وأثبت الاله بموتنا أن من الأفضل
للإنسان أن يموت على أن يحيا دون وفاء أو احسان . فقد
التف أهالى أرجوس حولنا وأثنوا على قوتنا وشبابنا وراحوا
يحيون أمتنا العجوز ويهنئوننا بأبنيها . أما الأم التى أفعم
قرادها الفرع فقد وقفت أمام تمثال الالهة وأخذت تبتهل اليها
أن ولديها المذل مايسكن أن يلقاه الانسان . وبعد أن أدت
الصلاة تقدمنا نحن وضحينا للربة واكلنا مع الأكلين ، ثم
أرحنا أجسادنا المنهكة على أرض المعبد ولم نقم من رقدتنا أبدا
واقام لنا الأرجيون تمثالين نصبوهما بعد ذلك فى معبد دلفى
ليضمننا لنا الخلود .

استمع الملك الى فى هدوء ثم قال :

كرويزوس : ايها الضيف القادم من أثينا . أهكذا تبدو سعادتي في نظرك هباء ولا يستحق أن تسوى بيني وبين عامة الناس ؟ عرفت مقصده فأجبت في خشوع : مولاي الملك كرويزوس . تسألني عن حياة الانسان ومصيره وأنا لا أعلم الا أن احكام الآلهة غامضة وأن مقاديرهم مظلمة الأسرار . هب أن الانسان يعيش سبعين سنة - وهي الحد الذي أضعه لعمر البشر على الأرض فكس عليه أن يرى في حياته مما لم يكن يريد رؤيته ، وكم يتحمل من آلام ويقاسى ؟ وإذا اكمل السبعين ، فقد عاش خمسة وعشرين ألف يوم ومائتين ، هذا دون حساب للشهر الزائد . فإذا أضفت شهرا لكل سنتين ، حتى تتواءم فصول السنة مع بعضها ، فلقد قدرت على مدى السبعين سنة خمسة وثلاثين شهرا زائدا ، ومن الأيام على قدر السنوات السبعين كانت ستة وعشرين ألف ومائتين وخمسين يوما ، ليس فيها يوم واحد يشبه سواه . هكذا ترى يا كرويزوس أن حياة الانسان مصادفة بحتة - وما أنتذا ملك غنى واسع الثراء ، تتحكم في بشر لا يحصيهم عد . لكن سؤالك ان كنت سعيدا لا أملك عنه الآن جوابا ، لا أملك هذا حتى أسمع انك أنهيت حياتك خير نهاية . فليس الغنى الفاحش الغنى بأسعد ممن لا يجد سوى قوت يومه ، الا أن يواتيه الحظ فينتهي أجله وهو متمتع بأملكه وجميع خيراته . ما أكثر الأغنياء الأشقياء وما أكثر الراضين بنصيبهم القليل . فالغنى الذي يشعر رغم غناه أنه تعس وشسقى يتقدم خطوات على المختيط بحظه الطيب ، أما هذا فيتقادم على الغنى خطوات وخطوات . والأول يمكنه أن يحقق الرغبة التي تعتمل في نفسه ، وتحمل الأذى الذي يصيبه ، أما الثاني فلا يسمع أن يطمع فيما يطمع فيه الأول أو يتحمل ما يتحمل ، فقدره الطيب قد أغناه عن الطمع

ووقاه الأذى والضرر . أضف الى هذا أنه لا يشكو ضعفا ولا علة ولا ألما ، وإن الحظ باركه بالبنيين وجعله بالجمال .
 فإذا حسنت خاتمته وأنهى حياته نهاية جميلة ، فهو الذى تبحث عنه أيها الملك ويستحق أن يرصف بأنه سعيد . وعلينا أن نحترس فلا نقول عنه أثناء حياته وقبل موته أنه سعيد ، بل يجب أن نكتفى بقولنا أنه طيب الحظ . من المستحيل على الانسان الواحد أن يملك كل شيء ، ومن المتعذر على أى بلد أن يكفى نفسه من كل شيء . فلديه شيء وعليه أن يحصل من بكت آخر علي شيء وكلما زاد نصيبه مما لديه كان هذا أفضل .
 ويصدق الامر نفسه على الفرد الواحد . فهو لا يكفى نفسه بنفسه . وهو يملك شيئا ويفتقر الى شيء آخر أما من كان لديه ما يكفيه حتى آخر عمره ثم ختم حياته ختاماً حسناً فذلك . يامولاي ، هو الذى يستحق أن يوصف بأنه انسان سعيد . يجب علينا أن ننظر الى نهاية كل شيء ، فما أكثر الذين منحهم الاله شيئا من السعادة ثم غير أحوالهم رأسا على عقب . هكذا ختمت حديثي للملك .

المؤرخ : ولم يعجبه كلامك ولا رضى عنك .

صولون : قاطعنى ولم يكثرث بوجودى ولا ببقائى أو رحيلى . اقتنع بأنى أحمق وأن الأحمق من يتخلى عما بين يديه وينظر فى نهاية كل شيء . (١١) .

المؤرخ : وليته نظر فى نهايته هو .

الحكماء : بل ليتة حاول أن يفكر فيما قاله عزيزنا صولون . لقد تجهم وجهه وأريدت ملامحه بسحابة سوداء كثيفة أطبقت عليها وحولته الى وحش كاسر . نظر الى زميلنا « بياس » والشرر يتقد من عينيه الغاضبتين وساله :

كرويزوس : هل هذا رأيك أيضا ؟ أعتقد أن صاحبك قد أجاب بالحق ؟

بياس : بالحق وبالعدل أجاب يامولاي . لقد أراد أن يرى الكنوز التي
فى نفسك فلم يجد إلا الكنوز التي فى يدك .

كرويزوس : أترد على مثله بالأغاز ؟ أريد منك جوابا قاطعا : ماذا
يقصد بكلامه ؟

بياس : أن البشر تسعدهم كنوز النفس لا كنوز الذهب والفضة .

كرويزوس : إذا كنتم لاتقدرون السعادة ولا الثروة الحقيقية بما
أملكه من كنوز ، ألا ترون أن عندي من الاصدقاء والأنصار
أضعاف ما عند أى ملك أو حاكم آخر ؟ هذا واحد منهم جاء
الى من أثينا . أيها العبيد ! أحضروا الكميون .

الحكماء : وفجأة فتحت الأبواب وظهر انسان عجيب وسط عدد من
الحراس والعبيد . كان يبدو قائم العينين زائف البصر .
وبدا عليه الاضطراب وكأنه قد عجز عن السير خطوة واحدة .
فقد انتفخ ثوبه الواسع بصورة مذهلة كأنه بطن امرأة أوشكت
على الوضع . وعندما دفعه الحراس وشدوه قريبا من الملك ،
وقعت ابصارنا على شعره الذى حشاه بسبائك الذهب ، بل
لقد تعجبنا من انتفاخ أوداجه وأدركنا أنه حشا فمه بقطع
ذهبية صغيرة سقطت احداها على الأرض عندما حاول أن
يسعل . وهلل الملك وصاح وهو يتلوى من الضحك :

كرويزوس : قل لهم يا الكميون ! الست أسعد انسان ؟ ألم تصبح
أنت أيضا أسعد انسان بعد أن سمحت لك بزيارة كنوزى وأخذ
ما تستطيع أخذه منها ؟ ألا يكفى هذا الذهب الذى حملته فى
ثيابك ودفنته فى طيات جسدك وحششوت به فمك أن يجعلك

سعيدا ؟ أم أن المفلسين والجوعى أسعد منك وأحكم ؟ ..
حاول الكميون أن يضحك فسقطت قطع الذهب من فمه وردت
على الأرض . وازداد ضحك الملك فقلنا له :

الحكماء : العقل هو أعظم الكنوز . والسعيد من يبقى سعيدا الى
النهاية ..

المؤرخ : نعم نعم ! ليت الملك فكر عندئذ في نهايته ...

الحكماء : تكلم . ماذا حدث له ؟

المؤرخ : تمضى الأيام فيغزو قورش الثانى ملك الفرس مدينة
سارديس عاصمة المملكة الليدية . ويأسر كرويزوس بعد أن
حكم أربعة عشر عاما وحوصرت عاصمة ملكه أربعة عشر
يوما (١٢) . ويحضره الجنود مقيدا فى الأغلال فيمثل بين يدي
الملك الذى أمر بتجهيز المحرقة ووضع الأسير عليها مع سبعة
من شايب الليديين . ربما قصد قورش من وراء ذلك أن يقدمهم
قربانا لالهه ، أو يفى بوعده قطعه على نفسه . وربما بلغه
أن كرويزوس كان ورعا تقيا ، فأراد بإحراقه حيا أن يختبر
قدرة الهه على انقاذه . مهما يكن الأمر فقد أصدر قورش أمره
فلما ان وقف الملك المسكين على المحرقة خطر على باله وهو فى
محنته ما قاله له صولون : مامن حى يمكن أن يوصف بأنه
سعيد . وانكشفت له الحجب فتأوه بعد صمت طويل وهتف
ثلاث مرات : صولون ! صولون ! صولون ! سمع قورش
صيحته فطلب من المترجمين أن يسألوه عن الأسسم الذى
استغاث به . وتقدم منه المترجمون وسألوه فلأذ بالصمت
طويلا قبل أن يقول : « هو انسان كان حديثه أقيم من كل ممالك
جميع الطغاة من ثروات عظيمة . » بدا لهم القول لغزا فالحوا

عليه بالسؤال عما يقصد • وبدأ الملك المنكوب يروى عليهم
كيف حضر اليه صولون الأثيني •

كرويزوس : ما أنت قد رأيت كنوزي • ما رأيك يا صولون ؟

صولون : رأيي ؟ فى أى شىء يا مولاي ؟

كرويزوس : هل أمنت بأنى أسعد انسان ؟

صولون : ربما تكون سعيدا والحظ الطيب يرباك • لكنك لست
بأسعد انسان •

كرويزوس : ومن فى رأيك هو أسعد انسان ؟

صولون : هو من بقى سعيدا حتى آخر عمره • قبل حلول الأجل
بلحظات يمكن أن ينقلب الحال ويصبح أشقى الناس ••

كرويزوس : غضبت عليه وصحت : يالك من أغريقى فظ • اتضن على
بالسعادة بعد كل ما رأيت من كنوزى وأملاكى !

صولون : ستكون سعيدا لو حضرك الموت وهى ملك يمينك ••

كرويزوس : وما أنذا أنكره الآن وأذكر ما قال • أتذكر حكايته عن
الأب الذى سعد برؤية أبنائه والموت فى سبيل وطنه، وعن البرلدين
اللذين جرا العربة التى حملت أمهما الى المعبد بدلا من الثيران
ثم ماتا راضيين بعد أن أدت الصلاة ان كلمات هذا الأثيني
لم تصدق على وحدى • أعرف الآن انها تصدق على كل انسان
خصوصا من زينت له الأوهام أنه أسعد السعداء ••

المؤرخ : استمع قورش الى حديث كرويزوس • كان الملك الاسير
يقف صلبا متجلدا فوق المحرقة والثيران تنز حواليه وتطلق
شررها عليه • وتفكر قورش فيما قاله المترجمون • وحدثته

نفسه قائلة : حقا ان كلمات الملك المنكوب لا تنطبق عليه وحده ،
ها انذا انسان مثله ، احسب نفسى منتصرا او سعيذا ، اسلم
للنار انسانا لم يكن اقل منى سعادة . من يدري ؟ هل تقتص
الأقدار منى ؟ من يضمن أن لا يحدث لى ما يحدث له ؟ أه !
من يضمن شيئا فى هذا العالم ؟ لاشىء أكيد فيه ، لا أمان
للحياة ! ونظر الى الملك الذى التفت حوله النيران فامر بأن
تطفأ على الفور وينزل هو ومن معه من فوق المحرقة .

وحاول الجنود أن ينفذوا أمر الملك ، لكنهم عجزوا عن السيطرة
على النار . ولاحظ كرويزوس أن الملك غير رايه ، وأن الخدم
والحشم يكافحون النار ولا يستطيعون اطفاءها فاستغاث بأبوللو
وهو يصرخ : ان كنت تذكر تضحياتى وهداياى اليك ، ان
كنت قد استطعت أن ارضيك ، فاذكرنى فى محنتى وخفف عنى
الويل . الطف بى يارب النور الساطع واكشف عنى ضنك
الليل . وبكى كرويزوس كما لم يبك فى حياته . وابتهل
وتعتم بالدعوات وسالت انهار دموعه . ورفع بصره الى
السماء الصافية فوجدها تتلبد فجأة بالسحب المظلمة .

وخطف البصر بريق البرق . وانهمر المطر سىولا اطفأت
النار . كان قورش ورجاله يتابعون المشهد وهم يحبسون
الأنفاس . وعرف الملك الجبار أن اماب الملك المنكوب يشف عن
انسان طيب . وصاح بالرجال أن يعجلوا بانزاله من فوق
المحرقة . وقربه منه وسأله وهو يشد على يده : كرويزوس .
من حرضك على محاربة بلادى ومعاداتى بدلا من أن تكون
صاحبى وصديقى ؟ قال كرويزوس : ايها الملك . . فعلت هذا
لما حالفك الحظ وخاصمنى والذنب فى هذا هو ذنب اله الاغريق

الذى دفعنى الى الحرب • وليس يفضل الحرب على السلام
الا الاخرق والأحمق • قلى ظل السلام يدفن الابناء آباءهم، أما فى
الحرب فيوارى الآباء أبناءهم التراب • لكن الآلهة اختارت •
شاءت هذا ومشينتها كانت • هكذا قال • ومد قورش يده
فبك قيوده وأجاسه بجانبه وأظهر له المودة والهيبة والكرامة •
وتطلع اليه الملك والحاضرون بأجلال وأعجاب ••

الحكماء : لا تقل انك مدمت حيا •• والانسان لا يأمن ما تأتى به
الحياة قبل لحظات من مفارقة الحياة ••

- ٤ -

المؤرخ : أم يستجب الطاغية انشرقي لحكمتمكم بل نار عليكم واتهمكم بالحمق ، وربما يكون قد طردكم من قصره ومملكته . وتفرقتم يا حكمائي السبعة ورجع كل منكم الى بلده . لكن هل سكت عنكم الطغيان ؟ وهل خلت بلادكم من الطغاة والمستبدين ؟
تكلم يا صولون !

صولون : لا تنكأ جرحى يا ولدي ..

المؤرخ : كيف واجهت العاصفة والبركان ؟ ماذا فعلت حكمتك أمام الطغيان ؟ هل لجأت الى جدار يحميك ، أم نفيت نفسك بنفسك ، أم نفاك الطاغية من أثينا ؟

صولون : بيزيستراتوس ؟ نعم نعم . لقد انتزع السلطة لنفسه وأقام حكمه المطلق . لم يقف في وجهه أحد ممن كنت أتوقع أن يقاوم استبداده . أما التشريع الذي وضعته لاصلاح أمور أثينا فلم يمسه . ولكنته تركه يبدو وكأنه قد أضرب بها بدلا من أن ينفعها ويقر السلام بين أبنائها المتصارعين . وتركت أثينا ورحلت أتتقل بين البلاد ...

المؤرخ : تتنقل وحدك ؟

صولون : لم اكن وحدى ابدا . فالحكماء دائما معى . ومن لسم
استطع زيارته كتبت اليه وتشاورت معه (١٢) . .

المؤرخ : وهل رد عليك أحد ؟

صولون : لم يكتفوا بالرد . بل دعونى للاقامة معهم ، او عرضوا
الحضور الى والاقامة معى . لا لم اكن وحدى ابدا . . كان
معى طاليس وبياس وكليوبويس و . .

المؤرخ : نريد ان نسمع ما قلته لهم فى رسائلك . فبمن تبدأ ؟

صولون : ابدا بالكاهن الذى خلص اثينا من لعنة الطاعون .

المؤرخ : ابيمينيدس ؟ الكاهن الكرىتى ؟

صولون : نعم . فقد كان اول من كتبت اليه . .

المؤرخ : وبدأت بقولك ان القوانين التى شرعتها للأثينيين لم تستطع
ان تساعدكم كثيرا ، كما لم يستطع هو نفسه ان يساعدكم
برفع اللعنة عنهم . فالشرايع والطقوس لا قيمة لها فى
ذاتها ، لأنها تستمد قيمتها من الحاكم الذى يطبقها ، فان
صادفت الحاكم السيئ انعدمت فائدتها . ولم تكن القوانين
والنظم التى وضعتها لتشد عن ذلك . بيد ان المسئولين قد
أضروا بالصلح العام للمدينة حين تقاعسوا عن الوقوف فى
وجه بيزيستراتوس الذى استبد بالسلطة .

صولون : واسفاه ! لم يصدق أحد نبوءتى . وثق الأثينيون بنفاقه
لهم ولم يثقوا بحقيقتى .

المؤرخ : وذهبت الى القاعة التى تجمع فيها القواد والقيت بأسلحتك
امام الباب وقلت :

صولون : اننى احكم من اولئك الذين لم يلاحظوا ان بيزيستراتوس قد صمم على ان يكون طاغية . واشجع من اولئك الذين ترددوا عن مقاومته . خرج القواد وهم يلوحون فى وجهى قائلين : انك احمق ياصولون . قلت محتجا : ياوطنى . انا . صولون . على استعداد لحمايتك بالكلمة والفعل ومع ذلك فهم يعتبروننى مجنوننا . ولهذا سسأغادر بلدى وانا الخصم الوحيد لبيزيستراتوس . عليهم ان يشاءوا ان يجعلوا انفسهم حرسه الخاص اما انا فلن ابقى .

المؤرخ : وهل فعلوا هذا ياصولون ؟

صولون : لقد استغل دهاءه فى التغرير بهم والاستبداد بالسلطة . ابتدا بتمثيل دور القائد والزعيم . ثم جرح نفسه وذهب الى قاعة المحكمة وهو يصرخ مؤكدا ان خصومه قد اعتدوا عليه ، وان على المجلس ان يعين له اربعمائة حارس شاب . ورفعت صوتى معترضا ولكنهم لم يستمعوا الى ، بل وافقوا بالاجماع على تعيين الحراس . وكان ان الفى الديمقراطية ، واستبعد الفقراء الذين حررتهم انا من الديون والسخرة وضاعث جهودى هباء ، فهم الآن عبيد لحد واحد اسمه بيزيستراتوس .

المؤرخ : ومرت الايام واستقر حكمه الفردى المطلق وجاءك رد صديقك الذى حاول ان يعزيك ويحيى الامل فى نفسك .

اييمثيديس : صبرا يا صديق ! لو كان بيزيستراتوس قد وجه ضربته للاثينيين وهم لا يزالون عبيدا وقبل ان يعرفوا القوانين الصالحة لانه ان يقبض على السلطة ويحتفظ بها عن طريق استعباد المواطنين . لكنه الآن يحكم فى عبيد ، فالرجال الذين يحكمهم يتفكرون فى تحذيرك ياصولون وهم خجلون متألمون .

أنهم لا يتحملون الطغيان ، لأن من المستحيل على من عرف الحرية في ظل أفضل القوانين أن يرضى بالعبودية أو يحيا حياة العبيد .

المؤرخ : ويشفق عليك الصديق من مشقة التجوال والترحال فيقول . .

ابيمثيديس : لا تنتقل بين البلاد تعال الينا هنا في كريت . ستحيا معنا في أمان ولن تحتاج الى الخوف من سيد مطلق . أما ان أصررت على اسفارك فأخشى أن يلقاك أنصاره ويصيبك مكروه . . .

المؤرخ : لم تكن هذه هي الدعوة الوحيدة . فلم يكذ طاليس يسمع عن عزمك على ترك اثينا حتى دعاك الى الحضور الى ملطية حيث تعيش وسط اهلك الذين سبقوك الى تعمير هذه المدينة .

طاليس : يمكنك أن تعيش هنا مطمئنا بلا خوف . واذا كان يؤلك أن يكون الحاكم هنا طاغية - فانا أعلم مدى كرهك لجميع الطفلة - فسوف يسعدك أن تعيش هنا مع أصدقائك . لقد بلغنى أيضا أنBias قد دعاك للذهاب الى بريينه . فان أثرت الإقامة في هذه المدينة فسوف أنتقل اليها . .

المؤرخ : وتنافس الأصدقاء في الوقوف بجانبك .

صولون : نعم ! كان لي أصدقاء عديدون . في كل مكان كنت أشعر أنني في بيتي .

المؤرخ : وهذا ماكتبه لك كليوبوليس . ثم أضاف قوله :

كليوبوليس : اعتقد أن ليندوس الديمقراطية ستكون أحب مكان الى قلب صولون . فالجزيرة تقع على البحر . من سكنها فهو

أمن من شر بيزيستراتوس * وسوف يحج اليك الأصدقاء من كل ناحية ..

المؤرخ : وعز على الطاغية أن يشهر به في كل مكان ، وأن يقف مكتوف اليدين أمام الخصم الذي خدم مدينته وأجمع الناس على أجله . وتسابقت المدن على الترحيب به ، ولهذا أسرع بالكتابة اليك وراح يدافع عن حكمه ويبرر استبداده ..

صولون : ويلج كذلك في عودتي الى الوطن ...

المؤرخ : فلنقرأ رسالته العجيبة ..

بيزيستراتوس : لست أنا الاغريقي الوحيد الذي استبد بالحكم الفردي المطلق . ثم أنه وصل الى ، لأننى أنحدر من نسل كودروس (١٢) . شكذا اكون قد استرددت ما تعهد به الأثينيون لكودروس وذريته وان كانوا مع ذلك قد عادوا فسلبوه اياه . أضف الى هذا اننى برىء من الذنوب فى حق الآلهة والبشر . وكما شرعت للأثينيين قوانينهم ، فسوف أترك حياتهم تسير بمقتضاها ، وبهذا يحكمون حكما أفضل من الديمقراطية ذلك اننى لن أسمح بأى تعد على الحدود المرعية ، كما اننى لا استأثر لنفسى بأى شرف أو تكريم باستثناء ما كان يتمتع به الملوك السابقون وقد فرضت على كل أثينى أن يسدد العشور عن أرضه ، لا لكى أخذها منه ، بل لكى تحصّلها الخزانة للاتفاق على القرايين العامة وغيرها من أوجه الاتفاق كما فى حالة الحرب .

اننى لا أرمك لأنك كشفت عن خطئى ، اذ فعلت هذا عن حب للدولة أكثر مما فعلته عن كراهية لى ، ثم لأنك لم تكن تعلم أى نوع من الحكم سوف أقيمه . ولو علمته فلربما رضيت

به ولم تهاجر . ارجع اذا الى وطنك وثق بى ، حتى بغير أن
اقسم لك قسما واضحا بأنه لن يصيب صولون أى مكروه من
بيزيستراتوس . واعلم اننى لم انسل أى واحد من أعدائى
بأذى . فان شئت أن تكون أحد أصدقائى ، فسوف تكون أولهم
فى المكانة عندى . فأنا لا أجد نيك خيانة ولا خداعا . وانى
لأضمن لك أن تحيا فى أثينا أى حياة ترضاها . ولست أحب
أن تفقد وطنك بسببى .

المؤرخ : ثقة بالنفس لم نعهدا فى طاغية .

صولون : ولهذا قابلتها بثقة لاتقل عنها . ثقة الحكمة فى نفسها ،
مهما كانت عزلاء ومنفية .

المؤرخ : وكتبت اليه ولم تخش غضبه .

صولون : بل وعملت على اشعال وقوده . اعتقد انه لن يصيبنى
منك شر . لقد كنت صديقك قبل أن تنفرد بالسلطة وتصبح
طاغية ، ولست الآن بأكثر عداء لك من أى أثينى آخر لايعجبه
حكم الطغيان . وسواء اكان الأفضل لهم أن يحكمهم فرد
واحد أم أن يعيشوا فى ظل الحكم الديموقراطى ، فسوف
نترك تقدير ذلك لكل منا حسب علمه . انى لااعترف بأنك أفضل
الطغاة جميعا ، اما أن اعود الى أثينا فلن أستحسن ذلك أبدا
لقد منحت المساواة للأثينيين دون تفرقة ، وكان فى امكانى
أن اصبح طاغية ، لكننى أبيت ذلك على نفسى ، وسوف يوجه
الى اللوم لو رجعت الى وطنى وقبلت ماتفعله .

المؤرخ : مبلغ علمى أنك لم ترجع اليه ولم تقبل ما فعله .

صولون : وفضلت أن أبقى غريبا أغير بلدا ببلد ، وألقى صديقا بعد
صديق .

المؤرخ : ومع ذلك التقيتم في مائدة الحكماء السبعة ..
 صولون : مائدة واحدة ؟ هل أنت بخيل كالتاريخ ؟
 المؤرخ : كانت في سلف أو في قصر كرويزوس ..
 صولون : أو أي مكان آخر .. المهم أننا التقينا .. وشربنا ..
 وغنينا ..
 المؤرخ : وتباريتم وتناقشتم ..
 صولون : حقا ؟ من أكثرنا شربا أو أكثرنا جلدا أو صبورا ...
 المؤرخ : بل من أحكمكم يا حكماء ...
 صولون : عجبا .. ولمن سيكون الحكم ؟
 المؤرخ : لننتي مجهول يبحث عنكم .. ويفتش في كل مكان عن كلمات
 صدرت منكم .. حتى تهديه الريح اليكم .. ويقدم أعجب
 شيء عثر عليه الصيادون ...

المؤرخ : فى اركاديا . جنة الرعساء والرعويين ، كان المعجوز
بائيكليس يرقد على فراش الموت منذ شهر ٠ واشتد عليه
المرض ففتح شينيد بصموبة واتكأ على ذراعه وأسرع اليه
الخادم الذى يسهر على راحته وهمس له :

الخادم : هل تطلب شيئاً يا مولاي ؟

بائيكليس : تعرف ما أطلب ٠ ألم يصل منهم أحد ؟

الخادم : لابد أنهم فى الطريق ٠ اصبر قليلاً ٠٠

بائيكليس : وهل يصبر على ؟ لقد رأيته الآن فى نومي ٠٠

الخادم : من ؟ ابنك أمفالكيس ؟

بائيكليس : بل خارون ياغبى ٠ يقف وسط النهر العكر الكسوسول
ويشير الى ويمد ذراعيه لكى يحملنى على عنقه ويعبر بى الى
بيت الظلال ٠٠

الخادم : انتظر ياسيدى ٠٠ انتظر أنت ايضا يا خارون ٠٠ ربما يكون
الطارق ٠٠ (يسمع طرق شديد على الباب ٠٠)

بائيكليس : افتح ٠٠ افتح ٠٠ ليته يأتى الآن ٠٠

الخادم : (وهو يفتح الباب) سيدى .. تنتظر واحدا .. وهامم
ثلاثة ! مرحبا .. مرحبا ..

ياثيكليس : اولادى ! ..

المؤرخ : ويسرع الاولاد الثلاثة بالدخول : ويعانقهم الاب يبيللون
خديه ويبلل خدودهم بدموعه . ويقولون بين الضحك والبكاء :

الولد الاكبر : تفرقنا فى البلاد ثم المتقينا . وجمعنا ما استطعنا جمعه
من حكم الحكماء السبعة ..

الولد الاصغر : وقدرت « توخيه » الهة الحظ والنصيب ان نجدك
يا أبى ..

الاب : وانا فى اخر أنفاسى .. هيا اسمعونى يا اولادى . فخير
ما يغمض عليه المرء عينيه وأذنيه هو الحكمة ..

الولد الاكبر : بل حكم لا حصر لها يا أبتى ..

الولد الاصغر : يحفظها الشعب ويذكرها فى كل مكان ..

الولد الأوسط : يتركها الاب لأبنائه .. انفس كنز يمكن ان يوصى
به ..

الاب : عندى كنز آخر اوصى به ..

الولد الاكبر : المزرعة وحق زيوس :

الولد الاصغر : بل معصرة الزيت .

الاب : شئ آخر .. هو فى مخبئه الآن ..

الولد الاكبر : ومتى تظهره ؟

الولد الاصغر : ولن توصى به ؟

الأب : لأحكم رجل حاز كنوز الحكمة ..

الولد الأكبر : هل هو أحد منا ؟

الولد الأصغر : ماذا قلت ؟ نحن جمعنا حكيم الحكماء وليسنا
بالحكماء .

الأب : فلنسمعها الآن .. ولأحكمهم سيكون الكنز ..

الولد الأكبر : أنا أحمله له ..

الولد الأصغر : مهما بعد مكانه .. سأسافر له ..

الولد الأوسط : وأنا أبذل عمري الباقي بحثا عنه ..

الأب : القاضى يسمع قبل صدور الحكم .. قل يا ولدى :

الولد الأكبر : هذه هى الحكم التى قالها كليويوليس من لندوس فى
جزيرة رودوس : الحد هو الأفضل .. على المرء أن يكرم أباءه
- كن صحيح الجسد والنفس . استمع كثيرا وتكلم قليلا -
انصح مواطنيك خير نصيحة .. تحكم فى اللذة . - لا تلجأ فى
عملك للعنف - ليكن عدو الشعب عدوك - لا تتشاجر مع زوجك
ولا تبالغ فى الغرور والتكبر عليها أمام الآخرين ، وفى الحالة
الاولى يبعدك الناس أحق ، وفى الحالة الثانية يعتبرونك
مجنونا . لا تضرب العبيد فى مجلس الشراب حتى لا يحسبك
الناس سكران - تزوج من طبقة تناسب طبقتك ، لأنك أن تزوجت
من طبقة أعلى منك كسيت سادة عليك لا أقارب لك - لا تضحك
مع من يهزأ بغيرك لأن من وقع عليه انهزم سسيكرهك - أن
حالفك الحظ فلا تغتر بنفسك وأن أصابك الشقاء فلا تكن
وضيعا .

الأب : ألم تجمع شيئا آخر يا ولدى ؟

الولد الأكبر : بلى يا أبى - هذه هى الحكم التى يتناقلها الناس عن
عن خيلون ..

الأب : ابن « داما جيتوس » - وفخر « لاكميدايمون » فى اسبرطة .
الولد الأكبر : اعرف نفسك ..

الولد الأوسط : سمعناها عن طاليس وحولون ..
الأب : استمر يا ولدى ..

الولد الأكبر : لا تثرثر مع الشراب حتى لاتندم - أبطىء فى الذهاب
الى اعياد أصدقائك ، وسارع اليهم اذا حل بهم مكروه -
لاتسرف فى الانفاق على حفلات العرس - اثن على الأموات
- كرم كبار السن - خذ الخسارة مأخذ الكسب السيئ ،
لأن الخسارة تؤلم مرة واحدة ، أما الكسب السيئ - غير
المشروع - فيؤلم أبدا - لاتضحك على انسان سيئ الحظ -
لاتجعل لسانك يسبق عقلك - تحكم فى غضبك - لاتسع الى
مستحيل - لاتسرع فى السير على الطريق لتسبق غيرك -
لا تحرك يدك من الكلام حتى لاتبدو كالمجنون - أطلع القوانين
- تسامح مع الظلم وتوق شر الوقاحة ..

الأب : ما أحكمه من قائل .. وانت يا ولدى ..

الولد الأصغر : انا جمعت ما يتناقله الناس على السنة الطفاة ..

الأب : الطفاة ؟ .. ربما يحذروننا من انفسهم ..

الولد الأصغر : لم يكن كل ما فعلوه شرا ولا ظلما .. فالطاغية فى
لساننا هو الحاكم الفرد ..

الولد الأوسط : وهل تنتظر الخير من المستقبل بحكمه ؟ .. هل تنتظر
الحكمة ..

الأب : فلنسمع يا ولدى قبل الحكم عليهم . .

الولد الأصغر : هذا هو ما أثر عن العادل بيتاكوس . .

الأب : ابن هيراس ، حاكم ميتيلينه فى جزيرة لسبوس . .

الولد الأصغر : اعرف قيمة اللحظة – لاتتكلم عما تنوى فعله ، لأنك ان لم توفق فيه جعلت نفسك اضحوكة – لا تفعل ما تأخذه على جارك – سلم ما عهد به اليك – لاتتكلم بالشر عن صديقك ولا بالخير عن عدوك حتى لا تتناقض مع نفسك – الأرض أمان والبحر لا أمان له – الكسب لا يشبع .

الأب : كلمات لا تصدر الا عن طاغية عادل . .

الولد الاوسط : طاغية عادل ؟ ما هذا يا أبى ؟ . .

الأب : هو ما تشهد به حياته وعمله يا ولدى . . استمر يا بنى . .

الولد الأصغر : وهذا ما توصلت اليه من حكم بياس . .

الأب : نعم نعم . ابن تويتاميديس ، حاكم بريينه .

الولد الأصغر : معظم الناس أشرار – أنظر فى المرأة . .

الولد الاوسط : لابد انه نظر فى المرأة قبل أن يقول هذا . .

الأب : صبرا يا أمفالكيس . .

الولد الأصغر : انظر فى المرأة : ان رايت نفسك جميلا فعليك أن تفعل الجميل ، وان بدوت قبيحا فعليك أن تعوض نقص الطبيعة بجمال الطبع ونبله . اعمل بتأن ، أما ما بدأت من عمل فعليك أن تمضى فيه – لا تكن طيب النية ولا سييء الطوية . قل عن الآلهة انهم موجودون – استمع كثيرا – تكلم فى الوقت

المناسب - اذا كنت فقيرا فلا توجه النوم لغنى . الا أن تكون
قد نفعت الناس بعمل عظيم - لا تثن على عديم القيمة بسبب
ثرائه - اكسب بالاقناع لا بالقوة - ماتقدم من خير فأرجع
الفضل فيه للآلهة لا لنفسك -

الأب : حقا .. حكم لا تصدر الا عن طاغية عادل ..

الولد الاوسط : هو أيضا يابى ؟

الأب : لاتجادل أباك وهو فى آخر أنفاسه .. والطاغية الثالث ؟

الولد الاوسط : من لايمكن أن يوصف بالعدل .. اليس هو بيرياندر ؟

الولد الاصغر : هو من قلت .. طاغية كورنثة . بيرياندر ابن
كيسينوس ..

الأب : أسرع ياولدى (يسعل سعالا شديدا)

الولد الاصغر : اشرب يابى .. اشرب .

الأب : شكرا ياولدى .. (يشرب) ماء الحكمة يروى أفضل ...

الولد الاصغر : هكذا قال بيرياندر : كل شىء يرجع للمران -
السكينة شىء جميل - التهور خطر - الديموقراطية أفضل من
الطغيان ..

الولد الاوسط : اشك فى هذا القول . أو لعلى قاله وهو على
فراش ...

الأب : ربما ياولدى ... استمر ..

الولد الاصغر : اللذات فانية ، والفضائل خالدة - ان وانتك الحظ
فكن معتدلا ، وان أصابك سوء الحظ فكن عاقلا حكيما - لكن
جديرا بأبويك - التمس الثناء فى حياتك ، والجزاء بعد موتك

— لا تغير معاملتك للأصدقاء ، سواء كانوا فى النعماء أو
الضراء — لا تثرثر بالأسرار — راع فى غضبك أن تترد عنه
بسرعة الى المودة والصدقة — تمسك بالقوانين القديمة ،
ولكن تمسك كذلك بالأطعمة الطازجة — لا تكثف بمعاينة الاثم
بل امنع كذلك النية والقصد الدافعين اليه — اذا أصابك سوء
الحظ فأخف نفسك حتى لا تشمت فيك أعداءك ..

الاب : حكم رائحة .. وانت يا امفالكيس .. ماذا تحمل يا ولدى ؟

الولد الاوسط : احمل كنز الحكماء الحق ..

الاب : التهور خطر يا بنى .. الم تسمع الآن ؟ ..

الولد الاوسط : طاليس وصولون شيء آخر .. والحكم المنسوبة
لهما ..

الاب : فلنبدا بالشاعر والمصلح لنظام اثينا ..

الولد الاوسط : امفالكيس يقرأ حكم وصولون : لا تبالغ فى شيء ..

الولد الاكبر والاصغر : سمعت ؟

الاب (ضاحكا) : واصل يا وصولون ..

امفالكيس : لاتجلس للقضاء ، حتى لاتصبح عدوا للمحكوم عليه —
اهرب من اللذة التى تلذ الالم — حافظ على مروءتك اكثر مما
تحافظ على قسمك — اختم كلماتك بالصمت ، واختم صمتك
باللحظة المناسبة — لا تكذب ، بل قل الحقيقة ابذل جهدك فى
امر جاد — لاتدع أن لديك من الحق اكثر مما لدى أبويك —
لاتتسرع فى كسب الأصدقاء ، أما من لديك منهم فلا تتسرع
فى التخلص منهم — تعلم كيف تطيع وسوف تتعلم كيف تحكم —
حاسب نفسك قبل أن تحاسب غيرك — لاتصحب مواطنيك بما هو

ممتع بل بما هو خير — تجنب صحبة الأشرار — لا تتكلم عن شيء لم تره — اعلم واسكت — كن رفيقا بأهلك — استنتج ما لاتراه مما تراه —

الأب : حكم تليق بالمشرع العظيم .. وماذا يقول طاليس ؟

أمفالكيس : ان ضمننت غيرك حلت بك المصائب — تذكر اهتدائك في حضورهم وغياهم — لاتزين مظهرك بل كن جميلا في عملك — لاتثر عن طريق الظلم — لاتتردد عن مجاملة والديك — ماتقدم من خير لأبويك توقعه من أبنائك في شيخوختك — من الصعب ان يعرف الانسان نفسه — أمتع شيء ان تحصل على ما تتمنى — الكسل عذاب — عدم التحكم في النفس مضرة — الجهل عبء ثقيل — لاتكن كسولا حتى ولو ملكك المال — أخف الشر الواقع في بيتك — خير لك ان يحسدك الناس من ان يشفقوا عليك — المزم حدك — لاتثق بكل ما تلقاه (١٥) .

الأب : حكم صائبة .. حتى لو جاءت متأخرة ..

الولد الأصغر : أنت بخير يا أبي ..

الولد الأكبر : الحكمة خير دواء ..

أمفالكيس : وخصوصا حكمة طاليس وصولون ..

الولد الأكبر : اترك الحكم لأبينا ..

الأب : لا وقت يا أولادي .. أخسر نفس يوشك أن يخرج مني ..

استمعوا لي .. استمعوا لي ..

الأولاد : تكلم يا أبي ..

الأب : قبل سنين حصلت على هذا الكنز .. (يخرج شيئا من خزانة بجواره)

الأولاد : ما هذا ؟ كأس ذهبي (١٦) .

الأب : نعم يا أولادى . . كنت أتجول على شواطئ مسينا وأتسلى
بمشاهدة الصيادين . . اقتربت منهم وقلت لهم وأنا أضحك :
الصيد القادم لى . قالوا : أيا كان الصيد ستدفع ثمنه ؟ قلت :
أيا كان ! القوا بالشبكة فى البحر مرة ومرتين . لم تخرج
سمكة ولا حجرا . وفى المرة الثالثة رأينا شيئاً يلمع فى
الشبكة . .

الأولاد : هذا الكأس الذهبى ! . .

الأب : نعم نعم . . وانبهر الصيادون وقالوا : لم تتفق على هذا .
نحن نصيد السمك ولا نصطاد كنوساً ذهبية . . قلت : بل
اتفقنا وكلام الرجال قسم . قالوا وماذا تريد ؟ قلت : أريد
صيدى — قالوا : ولكنه كأس ذهبية . قلت : ذهبى أو برونزى .
لقد اتفقنا . . أخرجوه وانظروا فيه . . قالوا نخرجهم ولكن هل
تدفع ثمنه ؟ قلت : ادفع فيه ما أملك . ان الهة الحظ قدرته لى ،
فهل تمنعونه عنى ؟ تفكروا قليلاً ونظروا الى . عرفوا اننى
مصمم على الكأس مهما كان الثمن . أخرجوه من الشبكة
وقلبوا فيه ثم هتف أحدهم : تعال ! اقرأ ما عليه ! وتناولت
الكأس بين يدي وقرأت . كانت قد نقشت عليه هذه العبارة :
لأحكم الحكماء . هتفت : صدقت النبوة يا اخوانى ! تعجبوا
قائلين النبوة ؟ قلت : نعم ! فقد شاءت الآلهة أن أقدمه هدية
لأحكم حكماء اليونان . قالوا : اذا فلن تبيعه ؟ قلت : أبيعه ؟
مثل هذا الكنز لا يباع . انه يعطى لأحكم الحكماء أو يوضع
فى معبد الاله ليراه كل الأتقياء . قالوا : خذه على بركتهم .
خذه وانذهب ! رفض الصيادون أن يأخذوا منى شيئاً .

وانصرف بالكئز الذى حافظت لكم عليه يا ابنائى - وها قد
جاءت اللحظة لأقدمه لكم ..

الأولاد : لنا يا أبى ؟

الأب : نعم .. لتسلموه لأحكم الحكماء ..

الأولاد : ومن يحكم بأنه أحكم الحكماء ؟

الأب : الحكماء أنفسهم يا ابنائى ..

الأولاد : ومن يتحمل مشقة السفر اليهم ؟ .. من يقدر أن يقطع
أرض اليونان وبحارها وجبالها بحثا عنهم ؟ ..

أمفالكيس : لن نحتاج الى هذا .. لقد سمعت أنهم ..

الأب : نعم يا بنى .. ماذا سمعت ؟

أمفالكيس : سمعت أنهم مجتمعون فى مأدبة الحكماء السبعة ..

الأصغر والأكبر : أين ؟

أمفالكيس : فى دلفى أو عند كرويزوس فى ليديا ..

الأكبر : اذهب أنت ...

الأصغر : سافر أنت اليهم ..

الأب : نعم يا ولدى .. سافر أنت بهذا الكئز .. نفذ وصية أبيك ..
أما أنت يا ولدى فتأخذ المزرعة .. وأما أنت فلك معصرة
الزيت .. خذ يا ولدى ..

المؤرخ : واقترب الابن الأوسط أمفالكيس من أبيه . مد يده اليه
ليأخذ الكأس الذهبى من يده . ارتعشت يد الأب وذراعه
وصدره وجسده ثم توقفت الحركة فى يده وذراعه وجسده

وسقط على الفراش • صرخ الابن : أبى ! أبى وبكى الولدان
الآخران • وبعد أن جففا دموعهما وباركسا أباهما قال
امفالكييس :

امفالكييس : وادعا يا اخواي • كرما أبى وأعدا له الطقوس اللائقة •
أما أنا فساذهب ••

المؤرخ : قال الأخوان : ابق معنا يا أخى • ألم تتعب من السفر ؟
أتظن أنك ستجدهم بسهولة ؟

امفالكييس : انها وصية أبى • ولا بد أن اذهب • لا بد أن اذهب •••

المؤرخ : وتجتمعون يا حكمائي السبعة فى مأدبة الحكماء (١٧) .
وتلتقون فى دلف أو فى ليديا بعد لقاء الملك لكرؤيزوس . لانعلم
شيئا بالتحديد عن المكان ولا الزمان . لكن ماذبكم كثرت فى
العصور المتأخرة ، والكتب التى سجلت أحاديثكم وأوردت
أغانيكم على الشراب قد ضاع معظمها ولم يبق منها الا
القليل . ولا بد أن كاتباً مجهولاً من القرن الخامس قد ألف
الكتاب الشعبى الذى دونت فيه هذه الأغاني والأحاديث .
ولا بد أن الحياة السياسية والاجتماعية فى هذا الزمن البعيد
قد غصت بشيء من الكذب الذى يسمم اليوم حياتنا ، حتى
أصبح من الصعب تمييز الحق من الباطل والأصالة من
الزيف . وما أنتم أولاء تقفون مع الحقيقة كما تقضى الحكمة
الخالدة على من ينتسب إليها أو يتعلق باسمها .

صولون : أين الكئوس يا أولاد ؟ أين الشراب ؟

بيتاكوس : انتظر يا صولون لم تأت اللحظة المناسبة . .

صولون : بل جاءت يا طاغية لسبوس العفيف . أنت وحدك الذى
لا يعرف قيمتها . .

پيلاس : على الرغم من حكمتك المعروفة • حقا ! من الصعب أن يعرف الانسان نفسه ••

صولون : ماذا قول طاليس • ولكن ليس من الصعب أن نعرفه •
طاليس ! لماذا تجلس وحدك ؟

طاليس : هكذا عشت دائما ، وحيدا مع نفسي (١٨) ••

كليوبوليس : وبعيدا عن السياسة والعمل ••

طاليس : لقد ابتعدت عن السياسة • لكننى لم أبتعد عن العمل •

خيلون : أنت وحدك انصرفت للنظر فى أمور الطبيعة وتأمل الأفلاك •

كليوبوليس : وغرقنا نحن جميعا فى متاعب الحكم والمحكومين ••

طاليس : اتهمونى فى ملطية بالفشل فى حياتى وعابوا على فقرى •
كنت كلما مررت فى الشوارع أشار الناس الى قائلين : انظروا
الى فقره ! أنه دليل كاف على عقم الفلسفة ! وقررت أن أثبت
لهم أن الفلاسفة يمكنهم اذا شاءوا أن يجمعوا الثروة بسهولة
ولكن هذا ليس هو هدفهم •

خيلون : وماذا يا طاليس ؟

طاليس : دلتنى ملاحظاتى الفلكية أن محصول زيت الزيتون سيكون
وفيرا • كنا فى فصل الشتاء ، وكان معى بعض المال وأجرت
معاصر الزيت كلها فى ملطية وخيوس بثمن قليل ، لان أحدا
لم يتقدم بثمن أعلى منه • ولما أن الألوان ، اشتد الطلب على
المعاصر ، فأجرتها بالثمن الذى حددته وكسبت أموالا طائلة (١٩)

صولون : وأثبت أنك حكيم عملى ••

طاليس : بل انى حكيم بعيد عن الحكم • اذ سرعان ما رجعت للمنظر
والتأمل (٢٠) ••

صولون : فلنشرب نخبه المال والزيّدون قبل ان ترجع لتأملاتك فى
السماء !

صولون : وقبل أن تجلس وحيدا مع نفسك ••

صولون : لن يسمح له هذا الصبى بذلك ؟

كليوبوليس : أى صبى يا صولون ؟

صولون : الا تعرفونه ؟ •• تعالى يا بنى •• انت تعال ! ••

الصبى : نعم يا عمى ••

صولون : غننا يا بنى شيئا •• غننا كما كنت تفعل فى اثينا ••

الصبى : الأغانى التى تحبها ؟

صولون : نعم يا ولدى •• ولا داعى لا ستثذان بيتاكوس ••

بيتاكوس : يستاذننى ؟

صولون : ستعرف بعد قليل •• استمع الآن ••

الصبى : (يرتفع صوته ببعض أغانى ساقو) :

الآن قد غاب بالقمر

وكذلك الكواكب السبعة

انتصف الليل

وزمن الانتظار غسات

وانا أنام وحيدى

صولون : حقا يا ولدى زمن الانتظار فات .
 بيتاكوس : سمعت هذا من قبل . . . سمعته من قبل . .
 الصبي : كل النجوم حول القمر الجميل
 تخفى وجهها المضى من جديد
 عندما يغمر البدر الناصع الأرض بنوره . .
 صولون : قل هذا لطاليس . او انتظر . قل لهذا الفتى . .
 الفتى : (يدخل على استحياء . يتطلع للجميع فى دهول) .
 صولون : اليس كذلك يا ولدى ؟ تعال . . اقترب منا . .
 بيتاكوس : أين سمعت هذه الأغنية ؟ حتى ؟ . . أه . . تذكرت . .
 صولون : تعال يا بنى . . صب له كأسا يا غلام . .
 بيتاكوس : انها لسافو . . الشاعرة التى هاجمتنى هى وصديقتها
 الكايوس ولكن شعرها . .
 صولون : استمر يا ولدى . . اسمع هذا الفتى الجميل .
 الصبي :

عندما تموت
 ينتهى كل شىء
 ما من تذكرى
 ولا من شوق
 سيبال عنك
 تذهب غمر مرئى

الى بيت هاديس

تهبط الى الظلال

تتلاشى مثاتها

تصبح عدما

صولون : نعم يا ولدي • نعم • تصبح عدما •

الصبي : كما تحمر التفاح

التفاح الطمو

على الشجرة العالية

على أعلى غصن

نسى القاطفون أن يجنوها

أه ! لم ينسوها

هم لم يستطيعوا فحسب أن يبلغوها (٢١)

صولون : أه ! ما أجملها ! ليست جميلة يا ولدي ؟

الفتى : نعم ياسيدي ••

صولون : ليتك تعلمها لي يا ولدي

الصبي : ولماذا يا عمي ؟

صولون : أريد أن أحفظها عن ظهر قلب ثم أموت (٢٢) ••

الفتى : مثلك لا يموت ياسيدي •• وكذلك هؤلاء الحكماء ••

صولون : ولكننا سنهبط الى بيت هاديس ••

الفتى : ستبقى حكمتكم يا مولاي ..

صولون : سمعتم يا اصدقاء ؟ .. هذا الفتى يزعم انكم خالدون ..

خيلون : اعطوه كأسا .. واذا شرب يغير رأيه ! ..

الفتى : لن اغير رأيي .. لقد عشت لهذه اللحظة .. اننى أسعد
انسان

كليوبوليس : سألنى الملك كرويزوس : من هو أسعد انسان فوق
الأرض ؟ قلت : أيها الملك .. انها الوحوش . لأنها تموت
فى سبيل الحرية . لو رآك يابنى لما سأل سؤاله ..

الفتى : كنت ساقول له : انا أسعد انسان يا كرويزوس ..
فقد رأيت الحكماء السبعة وسمعتهم ..

صولون : لو سمعت نصيحتى ما حكمت هذا الحكم الا فى آخر
أيامك ..

الفتى : ليكن هذا آخر أيامي .. فأنا أسعد انسان يا صولون .
انظروا ..

الحكماء : ما هذا ؟ ماذا تخرج من جرابك ؟

الفتى : هدية أبى اليكم . أرسلنى بها قبل أن يلفظ آخر أنفاسه ..

الحكماء : كأس ذهبى ! لنا نحن ؟

الفتى : بل للأحكم فيكم .. انظروا ..

صولون : حقا لكتب عليه نقش ذهبى ..

خيلون : لأحكم الحكماء ..

بيتاكوس : كيف ستعرفه يا ولدى ؟ لمن سيكون الحكم ...

الفنى : لكم انتم *

كليوبوليس : من احكمنا ؟ من ؟

صولون : هذا الكأس يجيبك ..

خيلون : ولماذا هذا الكأس ؟ اجبنى انت ..

صولون : ستعرف حين تفرغه فى جوفك .. هيا يا غلمان .. كأس
فارغة .. لا تسجلون ؟ .. (تما كاديه ، يرفع دسوته بالغناء
بعد أن يفرغها فى جوفه)

اتق شر الناس

وانظر للواحد منهم

هل يخفى الحربة فى قلبه

واذا حدثك بوجه طلق وبيان جذل

فهو حديث لسانين

انشقا من قلب اسود كالليل

طاليس : (يتسلم الكأس من صولون) :

كثرة كلماتك لاتكشف عن عقل راجح

فتخير منها الطيب

والتمس الأحكم والأوفق

كى لا يفرقك السيل الجامح

من السنة الثرثارين فتفرق

خيلون : يتسلم الكاس من طاليس) :

يختبر الذهب الخالص

فوق محك المعدن والحجر

أما أفكار الناس

فتوضع فوق محك الزمان

ليفصل فيها الخير المحض عن الشر

بيثاكوس : (يتسلم الكاس من خيلون) :

كن حذرا وأعد القوس مع السهم

حين تقابل شريرا

فلسان الحاقد لا يتحرك في الفم

ألا إن أطلق من لهب القلب سميرا

بياس : (يتسلم الكاس من بيثاكوس) :

كن طيبا مع الجميع وانبذ الخشونة

إذا أردت أن تقيم في المدينة

أما الشذوذ فهو يشعل المحدثات اللعينة . .

كليوبوليس : (يتسلم الكاس من بياس) :

الجهل عميم بين الناس

وسقط الكلمات ركام

لكن الحد مع المقياس

يعين المرء على الأيام

فكر في الخير

وعود نفسك

ان تختار الاصحاب (٢٢)

الحكماء (الفتى) : اشرب يا فتى .. اشرب .. هل عرفت الآن احكم
الحكماء ؟ (يناولونه الكاس الذهبى)

الفتى يشرب : كلكم حكيم .. كل اغانيكم تقطر حكمة .. لكن
من هو احكمكم ، من ؟

الحكماء : اشرب .. اشرب

الفتى (يمد يده بالكاس) : لا .. لا .. انا لا استحق الشرب منه ..
لن استحقه ابدا .. خذه يا خيلون ..

خيلون : انا ؟ انى اعرف نفسى ..

الفتى : انت يا طاليس ..

طاليس : من الصعب ان اعرف نفسى .. ولكن من السهل ان اعرف
اننى لا استحقه ..

الفتى : وانت يا صولون ..

صولون : اعرف واسكت .. ولهذا لا اتكلم ولا احرك يدي ..

الفتى : وانت يا بياس .. ألا تريد ان تأخذه ..

بياس : يأخذه من يتسبب الخير لنفسه .. اما انا فانسبه للالهة ..

الفتى : وانت يا حاكم ميتيلينه العادل ؟

- بيتاكوس : رد الأمانة لأهلها .. هل نسيت ما قلته ؟
- الفتى : لم يبق الا برياندر .. أرجوك .. لابد أن يأخذه أحدكم ..
- برياندر : التهور خطر ..
- الفتى : والحد هو الافضل .. لكن ماذا افعل ؟
- الحكماء : تسأل ..
- الفتى : أهناك أحد أحكم منكم ..
- الحكماء : بل تسألنا نحن وتحكم ..
- الفتى : أسألكم .. أى سؤال أسألكم ؟
- الحكماء : أسألنا مثلاً عن أفضل دولة ..
- الفتى : حقا .. ماهى أفضل دولة ؟
- صولون : هى التى يتهم فيها المجرم ويعاقب من جميع أولئك الذين لم يضرهم بشئ . كما يتهم ويعاقب ممن وقع عليهم الضرر منه .
- بياس : هى التى يخاف فيها الجميع القانون كما يخافون طاغية .
- طاليس : هى التى تخلو من المسرفين فى الثراء والمسرفين فى الفقر .
- أناخارزيس : هى التى يحترم فيها الناس كل شئ على حد سواء ، ولكنهم يقيسون المزايا بمقياس الفضيلة ، والعيوب بمقياس الرذيلة .
- بيتاكوس : هى التى يستحيل فيها أن يصل الأشرار الى الحكم ، كما يستحيل الا يحكم الأخيار ..

خيلون : هي التي يغلب فيها سماع القوانين ويقل سماع الخطباء (٢٤) ٠٠

الفتى : أجبتكم عن أفضل دولة • هل أسألكم الآن عن أفضل بيت ؟
صولون : أفضل بيت هو الذى لا يقترب فيه كسب المال بظلم ،
ولا يجلب الحرص عليه سوء الظن ، ولا يعقب انفاقه ندم •

بياس : هو الذى يسلك رب البيت فى داخله ومن تلقاء نفسه مثلما
يسلك خارجه بسبب القوانين ٠٠

طاليس : هو الذى يستطيع فيه رب البيت أن يجد الفراغ أكثر مما
يجده فى أى مكان آخر •

كليوبوليس : هو الذى يكون فيه عدد من يحبون رب البيت أكثر
من عدد من يخافونه •

بيتاكوس : هو الذى لا يشتهى شيئاً غير ضرورى ولا يحرم من شيء
ضرورى •

خيلون : هو الذى يشبه الى أقصى حد مملكة يحكمها ملك (٢٥) ٠٠

الفتى : صعب ٠٠ صعب أن أختار الأحكم ٠٠ هل تجيبنى أنت
ياصولون ؟

صولون : عن أى شيء ياولدى ؟

الفتى : عن رأيك فى أفضل دولة •

صولون : ألم أتكلم الآن ؟

الفتى : نعم نعم • لكننى أريد المزيد •

صولون : هي التي تكثر فيها الجوائز التي تمنح للأفضيلة •

الفتى : اجابة اخرى ..

صولون : هى التى يكرم فيها الخيرون كما يتقى الاشرار ..

الفتى : وثالثة ..

صولون : هى الدولة التى فيها يطيع المواطنون الحكام ، اما الحكام
فيطيعون القوانين ..

الفتى : احكم ما سمعت اذنائى .. زدنى ياصولون ..

صولون : اخر ما عندى : هى التى يثور فيها على الظلم اولئك الذين
لم يصابوا منه بسوء كما يثور عليه من اضيروا بسببه سواء
بسواء ..

الفتى : وانت يا طاليس ؟ هل تظل وحدك كما قالوا عنك ؟

طاليس : ألم اُجب على أسئلتك يابنى ؟

الفتى : من كان فى شهرتك نتوقع منه المزيد ..

طاليس : اسأل يابنى !

الفتى : ما اقدم الكائنات ؟

طاليس : هو الاله . لأنه لم يولد

الفتى : وما أجملها ؟

طاليس : العالم . لأنه من خلق الله .

الفتى : وأعظمها ؟

طاليس : المكان . لأنه يستوعب كل شئ .

الفتى : وأحكمها ؟

- طاليس : الزمن • لأنه يكشف كل شيء •
الفتى : واسرعها ؟
طاليس : العقل • لأنه يتخلل كل شيء •
الفتى : واقواها ؟
طاليس : الضرورة ، لأنها تحكم كل شيء (٢٧)
الفتى (يسرع اليه ويحاول أن يناوله الكاس) : رائع ! خذهُ أرجوك !
طاليس : بل يأخذهُ صولون ••
صولون : لن أغير رأيي •• أعطهُ لخيلون ••
خيلون : بيتاكوس أولى به ••
بيتاكوس : بل برياندر • هو احكم مني ••
برياندر : أخذه وكليوبوليس معنا ؟
كليوبوليس : مد يدك يا بياس !
بياس : أن خارزيس له يدان مثلي ••
الفتى : الكاس لأحكمكم •• اختاروا أحدا منكم ••
الحكماء : ليتك جئت ومعك باريس :
الفتى : هذا اللص ؟ سارق هيلينا ؟
الحكماء : عندما نشب النزاع بين الآلهيات الثلاثة هيرا وأثينا
وأفروديته أرسله أبوللو ليحكم من هي أكثر جمالا ويعطينها
التفاحة الذهبية
الفتى : الكاس إذا من حق أبوللو ••

الحكماء : ما أحكم هذا القول ! انك أحكم منا يا ولدي .. هي من
حق أبوللو . فلتوضع في معبده في ثيبه أو دلفى ..

طالبيس : أو في معبده الأقدس في ديديميا وقريبا من مسقط رأسي
ملطية ..

الحكماء : هو أجدر بالكأس الذهبية منا . فهو حكيم ، أما نحن
فأحاباب الحكمة ..

الفتى : وأنا أحببت الحكماء السبعة أحاباب الحكمة ..

الحكماء : اذهب ونفذ وصيتنا ..

الفتى : ووصيتك يا أبى .. فتقبلها يارب الحكمة .

الحكماء : وداعا .. وتقبله يارب النور أبوللو .. يارب الحسن
ورب الحكمة والعدل ..

- ٧ -

المؤرخ : بعد المأدبة يجيء المسرح ..

الحكماء : المسرح ؟

المؤرخ : نعم . فقد مرت الأيام والسنون ، ومالت الى الغيب شمس العصر القديم . نسيكم الناس ولكن لم ينسوا حكمتكم بعد . وما هو ذا شاعر عالم وقنصل ومربي أمراء يذكر بكم الأجيال (٢٨) ، ويقدمكم فوق المسرح أو يجعلكم تقدمون أنفسكم واحدا بعد الآخر ..

الحكماء : نحن ؟ نظهر على المسرح ؟

المؤرخ : سموه مسرح العقل أو الخيال أو التاريخ ..

الحكماء : وماذا نقول غير ما قلناه ؟

المؤرخ : لا تنسوا .. أوشكت الناس أن تنساكم . ولهذا ستقفون على الخشبة ويردد كل منكم حكمته الخالدة على الأذان ..

الحكماء : كى تنساها بعد سنين أو أجيال ..

المؤرخ : طبع الانسان هو النسيان .. قد ينساكم أو يظهركم في

شكل آخر . قد ينسج عنكم فى كل زمان أسطورة .. لكن
الحكمة باقية حتى اليوم . مهما احتاجت من يخرجها من
ظلمات التاريخ ..

الحكماء : أو ظلمات النسيان ..

المؤرخ : هامو ذا رجل لا ينسى . يظهر ليقدمكم للجمهور . كى يتذكر
شعب الرومان مآثركم . كى يتعلم من حكمتكم . حتى تصبح
أسلوب حياة ..

الممثل (يتقدم على المسرح ويلقى بالتمهيد) :

الحكماء السبعة . من أعطاهم العصر القديم هذا الاسم ولم
تأخذهم منهم العصور التالية . يقفون اليوم على خشبة المسرح
فى ثيابهم الاغريقية . لم يحمر وجهك . أيها الرومانى فى
ثوبك الأبيض . لدى ظهور هؤلاء الرجال المشاهير ؟

نحن وحدنا نشعر بالخجل . أما الأثينيون فلم يشعروا به ان
كان المسرح عندهم مجلس رأى أو شورى .

لكل فعل عندنا مكانه الخاص به :

فمجلس الشعب يشغل ميدان مارس . ومجلس الشيوخ يحتل
المبنى الحكومى . والقضاء مقره فى السوق والمحكمة .
لكن فى أثينا وبلاد الاغريق مكان يتجمع فيه الناس للتشاور
فى الرأى . وهذا المكان أهداه الترف المتأخر لمدينتنا . فقد
أقام لنا ناظر الشرطة خشبة المسرح . وعلى وجه السرعة
أعلى بناءها بغير أحجار ثقيلة . موريتا وجاليوس فعلا هذا
كما هو معروف . ان السادة العظام . الذين لم يتهيبوا النفقات
الباهظة . قد اعتقدوا أنهم سيخلدون أسماءهم بأقامة مبنى
عال مؤسس على الأحجار . يتيح الى الأبد فرصة التمثيل

المسرحى ، وهكذا ارتفع هذا البيت الهائل المقسم الى ادوار وطوابق ، بعدما تنافس في الاتفاق عليه بومبيوس وبالبوس وأغسطس . لكن لماذا اثرت بهذا الكلام ؟

انى لم اظهر امامكم لأحكى عن اقسام المسرح والسوق والأسوار ، بل لأقدم لكم رجالا أجلاء اثنت عليهم الآلهة . ولكى اعلن عن مقصدهم .

لقد تعودنا على النطق بعباراتهم فكل حكيم منهم يلقى حكمته الأثيرة . انكم تعرفون هذه الحكم والعبارات لكن حين تصبحل نكرى الأخبار القديمة — عندئذ يظهر هذا الشخص المرح لكى يشرح الحكم التى غابت عنى

الشخص المرح : فى دلفى ، كما يقال ،

كتب صولون الأثينى : اعرف نفسك (٢٠) . غير أن البعض يزعم أن قائل هذه الكلمة هو خيلون . ياخيلون الاسبرطى ! مازالت الآراء كذلك مختلفة حول هذه العبارة التى تنسب اليك :

« على كل انسان أن يتبصر بنهاية الحياة » فهل أنت الذى قلتها ، عندما أوصيت أن ينتظر المرء نهاية العمر الطويل (قبل أن يحكم على أخذ بالسعادة أو الشقاء) (٢١) ؟ كذلك يزعم الكثيرون أن صولون قد قال هذه العبارة يوما للملك لكرويزوس . أما بيتاكوس ، من جزيرة لسبوس ، فيروى عنه أنه قال : اعرف اللحظة وأنه نبه الى معرفة الوقت الملائم . وأما بياس المنسوب الى مدينة برينية فقد قال :

معظم الناس أشرار ، وعليك أن تفهم من قوله أن الحمقى فى رأيهم هم الأشرار ويقول برياندر من مدينة كورنثة :

المران هو كل شيء ، وهو يقصد أن القروي يحقق للمرء كل ما يريد ويعلم كليوبوليس من لندوس أن الحد هو الأفضل . أما طاليس فيحذر من أن تضمن غيرك فتجلب الضرر على نفسك . وطبيعي أن يسخط مقترض المال على هذا التحذير . لقد قلت ما عتدي ، ما انسحب الآن ، لكي يتقدم المشرع صولون .

صولون : هاأنذا أخطو على هذه الخشبة على طريقة الاغريق ، أنا صولون الذي وهبه المجد أول جائزة منحت للحكماء السبعة . غير أن المجد شيء يختلف عن صرامة الحكم الصحيح . ولهذا لا أحب أن أكون أول الحكماء بل أريد أن أكون واحدا منهم ، لأن المساواة لا تطبق التقسيم إلى مراتب ودرجات . وبحق نصح اله دلفي ذلك (الشاب) الذي سأل هذا السؤال الطائش : من هو أول الحكماء ؟ نصحه أن يكتب باقة أسماء الحكماء على هيئة دائرة ، حتى لا يكون منهم أول ولا أخير .

ولهذا أتقدم من دائرتهم ، أنا صولون ، حتى أبلغ كل الناس ماقلته يوما للملك كرويزوس :

أدعو الانسان لأن ينظر في خاتمة حياته . وليحذر كل منهم أن يتكلم عن انسان فيقول هذا تعس ، أو ذاك سعيد ، لأن السعادة والتعاسة يحوطهما الغموض على الدوام . الأمر كذلك ، فاسمحوا لي أن أثبت باختصار . كان الملك كرويزوس ، لا بل طاغية ليديا ، أحد هؤلاء السعداء . وكان يملك الكنوز التي لا أحد لها . وبنى للآلهة معابد رفع أسوارها الذهبية . ودهانى الملك اليه فأطلعت حتى يتسنى لليديين أن يجلس على عرشهم أفضل الملوك . سألنى الملك أن كنت أعرف انسانا سعيدا ، وسميت له تيلوس ، ذلك المواطن النبيل ، الذى سقط

قتيلاً وهو يدافع عن وطنه • وبدأ له هذا المواطن حقيراً فأعاد السؤال ، وخطر على بالي أجلاوس الذي لم يغادر حدود حقله مرة واحدة في حياته •

ضحك الملك وقال : أين أكون إذا وأنا الموصوف يأنى السعيد الوحيد على ظهر الأرض ؟ قلت له : على المرء أن ينتظر نهاية الحياة ثم يصدر الحكم بأنه سعيد إذا دامت له السعادة • كانت العبارة قاسية على الملك ، ولكنني انصرفت من عنده • وكان أن أعلن الحرب على الفرس ، ودخل المعركة وهزم • مثل أمام الملك مقيداً بالآغلال ، وعرفت أنه سسيموت فوق المحرقة ، إذ كان اللهب يملأ المكان ويرفع السنة الدخان المتوهج إلى السماء •

وارتفعت صيحة كرويزوس بعد فوات الأوان فصرخ بصوت رهيب : « صولون ! صولون ! صولون ! يا من صدقت نبوءتك بحق ! » وحرك النداء قلب قورش ، فأمر بإطفاء النار ورفعته عن المحرقة • وانهمر المطر من السحب •

فقهّر الحريق . وتقدمت كتيبة من الجنود فأمسكت بكرويزوس وقادته إلى الملك •

سأله عن صولون وعن سبب هتافه باسمه ، فأخذ يروي عليه تجربته بالتفصيل ، وأشفق عليه الملك وأثنى على صولون الذي أنقذ قوة القدر فأحسن الإدراك •

وأصبح كرويزوس منذ ذلك الحين صديق قورش الذي أمر بتطويق عنقه بقلادة ذهبية وجعله يقضى بقية عمره بجانبه • أما أنا فشهادة الملكين مديح وثناء على ، إذ قال كلاهما : معك الحق •

وعلى كل منكم أن ينتبه لما قلت لأحدهما .
لقد انتهيت مما جئت لأجله .
انظروا ! ها هو خيلون قادم فوداعا ، وصفقوا !
خيلون : يؤلنى فخدائى من الجلوس كما تؤلنى من النظر عيناى .
وقد انتظرت حتى انصرف صولون .
أه ما أقل ما يقوله « الأتيكى » فى خطبة طويلة !
فلقد ألقى عبارته الوحيدة فى أكثر من مائة بيت .. ها هو
مايزال يتلفت نحوى ، لكنه قد ذهب لحاله .
أنا خيلون الاسبرطى الذى يتقدم منكم الآن ألجا للايجاز
المعروف عنا وأوصيكم بحكمتى :
« اعرف نفسك » .

وهى الحكمة المنقوشة على عمود معبد دلفى انه لجهد شاق -
وان كان يجلب أجمل الجزاء - أن تعرف ما تقدر عليه وما
لا تقدر ، وأن تفحص فى الليل والنهار ما عملته وما لم تعمله
وتدقق فى أدق تفاصيله .

ان جميع الواجبات ، من شرف وحياء وصمود ، كلها هنا
(فى هذه الحكمة) ، ومعها كل المجد الذى أسكت عنه .

لقد تكلمت وقلت ما عندى ، فوداعا وتفكروا فيه !
لن انتظر التصفيق ! ..

كليوبوليس : أنا كليوبوليس ، أصلى من جزيرة صغيرة ، ومع ذلك
فقد عثرت على حكمة كبيرة (يشيد بذكرها الناس) :
« الحد هو الأفضل »

• تلك هي الحكمة التي تنسب الى •

ترجمها أنت ، يامن تجلس بالقرب من الخشبة على أول درجة
من الدرجات الأربع عشرة اليس الحد هو الأفضل ؟
قل رأيك ! هل أطرقت برأسك ؟ شكرا لك !

سأتابع قولي بالترتيب • فقديما قال شاعركم تيرينس في هذا
المكان : « لا تبالي في شيء » • وكذلك قال أحد شعرائنا :
« لا تسرف على نفسك » والقولان من الروماني والاغريقي
مرتبطان بما نحن بصدد :

في اثناء كلامك او صمتك في يظظتك ونومك •

يصدق هذا الحد ، في الاحسان الى الناس وتقديم الشكر في
العمل وفي الدرس وفي الايذاء أو الضرر ، - في كل امور
حياتك يجب عليك أن تلتزم الحد •

ها انذا أنهيت حديثي ، ولهذا اذهب ، فارعوا الحد ، ارفعوا
الحد •

• • • هاهو طاليس يتقدم منكم • •

طاليس : اسمى طاليس • مسقط رأسي ملطية •

علمت ، كما علم بNDAR ، ان الماء هو أصل جميع الاشياء •
ووعاء البخور الذهبي ذو القوائم الثلاثة (٢٢) أحضره الى
الضيادون الذين سحبهو بشباكهم من البحر •

وساقتهم الى نبوءة ابوللو الذي جعل هذا الوعاء من نصيب
أحكم الحكماء • لم أشأ ان أحفظ به ، فرددته اليهم لكي
يحملوه الى غيرى ممن اعتقدت أنهم أولى به •

هكذا دار الوعاء دورته وأرسل إلى الحكماء السبعة جميعا ،
ثم أعاده الصيادون إلى بعد أن أرسله الحكماء فأخذته منهم
ونذرتة للاله أبوللو .

وإذا كان أبوللو قد أمر باختيار حكيم (ليكون الوعاء من
نصيبه) فمن الحق أن يسرى هذا الأمر على اله لا على
إنسان .

هذا هو أنا . وقد ظهرت على المسرح مثلما ظهر الاثنان
اللذان سبقاني لأنقل إليكم حكمتي من هذا المكان .

ربما تثير السخط عليها ، لكنها لن تسبوا الأذكىاء الذين
أنضجتهم الخبرة وحنكتهم التجربة . .

لقد قلت باليونانية ما ترجمته :

خذ قرصا من غيرك بضمان ، وبذلك تؤذى نفسك !

يمكننى أن أضرب أكثر من ألف مثل لابين ندم المواطن على
ما فعل .

لكنى لن أذكر أحدا باسمه وسأترك لكم الأمر لتتدبروه بأنفسكم
وتعرفوا مدى الألم والأذى الذى جلبه المدين بالضمان على
أصحابه ومع ذلك يبقى هذا العمل حبيبا إلى نفوس الصبية
الخليعين . .

وإذا فليصفق لى جزء منكم ، وليصفر الجزء الباقى سخطا
واستهجانا . .

بياس : أنا بياس من بريينه الذى قال : « أغلب الناس أشسرار ،
وودت لو لم أقل هذه العبارة أبدا (فقول) الحقيقة يولد
الكراهية .

وقد وصفت بالشجر البرابرة والحمقى الذين يزدرون الحق والقانون والحرمان المقدسة .

أما الشسعب الذى يحوط هذا المكان ، فهو من الأخيار الخالصين .

إن الأشرار لا وجود لهم إلا فى بلاد الأعداء ، هذا ما قصدت قوله فصدقونى .

لكن ما من أحد يرضى لنفسه أن يكون قاضيا سيئا ، بحيث لا ينضم الى زمرة الأخيار الطيبين ، سواء أكان طيبا بحق أم أراد أن يحسب من الطيبين .

بهذا تكون الكلمة السيئة عن الشرير قد كشفت عن معناها - وبهذا أنسحب من المسرح ، فوداعا ، وشفقوا ، يامن أغلبكم أخيار ! ..

بييتاكوس : أنا بيتاكوس ، أصلى من هيتيلينه فى لسبوس ، ولقد قلت : اعرفنا قيمة اللحظة .

فاللحظة تدعو وتنبه (الغافل) الى معرفة الزمن ولهذا يقول الرومان : تعال فى الوقت المناسب كذلك أوصى شاعركم الهزلى « يترنس » بادراك أهمية هذا الوقت المناسب عندما حضر العبد درومو لسيدته أنتيفيلا فى أشد اللحظات حرجا ودقة (x) .

تفكروا جميعا فى المصاعب التى يتعرض لها ذلك الذى لا يقدر قيمة الفرصة المواتية !

إن الزمن ينبئنى ألا أثقل بالقول عليكم . فشفقوا !

بيرناندر : وما أنذا أظهر أمامكم ، بيرياندر الذى ولد فى كورنثة ، والذى أعلن أن كل شيء يرجع للمران .

وأنا أؤيد قول القائل أن ما يحسن المرء أداؤه إنما يقوم على التأمل ولا ينجح في عمله إلا من يتدبره قبل الإقدام عليه .
والشاعر الهزلي تيرونس يعلمنا أن ننظر في فرص الحظ وسوء الحظ .

وكل من يريد أن يستأجر بيتا ، أو يعلن حربا ، أو يعقد صلحا وسلاما ، أو يرسم خطة شيء عظيم أو حقير ، فعليه أن يتفكر ويدبر سيرين الكسل عليك إذا أقبلت على عمل لم تتدبره قبل شروعه فيه .

ولاشيء أولى بالحرص والعناية من التفكير في خطوة جديدة أن الخافلين يوجههم الحظ لا الذكاء .

ومع ذلك فما أنا ذا أراجع جانباً ، صفقوا . وتدبروا الأمر من أجل بلدكم .

المؤرخ : هكذا انتهت هذه اللعبة المسرحية . .

الحكماء : كانت لعبة أطفال وتلاميذ مدارس . . الحمد لرب الحكمة
اذ انتهت أدوارنا . .

المؤرخ : ماذا تقولون ؟ لم ينته دوركم بعد . فالحكاية ما تزال على نول الأيام ، وخيوط أخرى تغزلها في ثوبكم الأجيال . .
الحكماء : ألا تنتظر حتى نغير ثيابنا . .

المؤرخ : وأصفق لكم ثم انسحب لاستراحة قصيرة . . .

المؤرخ : وتمر الأيام وتأتى الأجيال بعد الأجيال فيتغير كل شيء .
هذا قانون لا يسلم منه حى أو جمساد . فكل ما فى الوجود
يتبدل ويتحول ويصير الى ضده . هذا ما سيقوله حكيم جاء
بعدكم وأشاد بذكركم واسمع هيراقليطس . حتى قصتكم
ياحكمائى السبعة لم تسلم من التغير والتحول . . . و

الحكماء : قصتنا ؟ . هذا جائز . . لكن حكمتنا ؟ . .

صولون : اعرف نفسك ! الزم حدك ! لا تتطرف ! لا لا . . لا يمكن
أن تتغير . .

الحكماء : هل يمكن أن ينقلب الخير الى الشر ، أو يرضى الناس
بتقديس الخسة والفدر ؟

المؤرخ : معذرة ياحكماء . . حكمتكم فوق المشك ولكن . .

الحكماء : ماذا تعنى ؟

المؤرخ : أعنى أن الحال تحول والقيم تغير سلماها الراسخ وتبدل . .

الحكماء : أوضح قولك . .

المؤرخ : بل هو قول التاريخ وحكمه . . صار العصر غير العصر

وتبدلت العقيدة غير العقيدة • ودخلت بلادكم فى دين جديد
هو دين المسيح ••

الحكماء : المسيح ؟

المؤرخ : أجل • وهو عند المؤمنين به ابن الله الذى اقتدى البشر
ليكفر عن خطاياهم ••

الحكماء : ابن زيوس ؟ أم أبو للو ؟

المؤرخ : بل ابن الواحد والثالث •• جاء الى الأرض بميلاد معجز ،
جاء على صورة بشر يحيا فى الزمن ويأكل مثل البشر
ويشرب ، وأخيرا يصلب ثم يقوم ويرفع ••

الحكماء : لم نره ، لم نسمع عنه ••

المؤرخ : بل تروى القصة أنكم تنبأتم به •••

الحكماء : نحن الحكماء تنبأنا به ؟

المؤرخ : والنبوة صارت هى حكمتكم الوحيدة • وما هو ذا واحد
من آباء الكنيسة الذين علموا فى مصر ، وهو كليمنس
السكندرى (٢٣) ، يسميكم فى حوالى سنة مائتين بعد ميلاد
المسيح بالأنبياء • لقد راح هذا الأب المسيحى يفسر أقوالكم
الاثيرة • أنكم تعرفون هذه الحكم والعبارات تفسيرا
رمزيا يضع عليها ثوبا الهيئا •• فعبارتكم « أعرف
نفسك » صارت : أعرف سبب ولادتك ، وصورة من أنت ،
ماذا تملك ، ماذا تصنع ، وأعرف صلتك بالله وقربك منه ، —

الحكماء : غريب •• شئ غريب ••

المؤرخ : الأغرب من هذا أن أسماءكم المشهورة بدأت تلتف فى

حجاب الأفق البعيد ومعها عالمكم القديم كله . لم يبق من هذه
الاسماء الا اصداء خامضة . واختلطت باسماء أخرى ظهر
أصحابها قبلكم أو بعدكم . فالكاتب المتدين لاتهمه الآن الا
حكمة واحدة ولايعنيه الا ححدث تاريخي واحد (٢٤) . انه
لايعرف حكايتكم ولايذكر اقوالكم ولايرى بأسا من ان يدخل
في زمركم شاعرا كهوميروس أو فيلسوفا كافلاطون وتلميذه
أرسطو أو مؤرخا كتوكيديدس الذي سجل وقائع الحرب
الاهلية التي وقعت بعد عهدكم بين اثينا واسبرطة ، أو مؤرخا
متاخرا مثل بلوتارك - بل انه لايجد حرجا في ان يجعل شاعر
الملهة ميناندر واحدا منكم .

الحكماء : هل يمكن ان ينسانا العالم كل النسيان ؟ أولا يذكر احدا
منا ؟

المؤرخ : بل ما زال الكاتب يرفع ذكركم وان كان لايعرف شيئا عنكم .
مع ذلك لايصح ان نجحد فضله في احياء ذكراكم ، والايحاء
الى الفنانين برسم صوركم ونقوشكم على الأيقونات وجدران
الكنائس الأرثوذكسية في بلدكم . استمعوا الآن . لقد أصبحتم
أنبياء أو متنبئين ومنجمين .

الحكماء : ما أشقانا ! متنبئين ومنجمين ؟ !

المؤرخ : وجئتم الى معبد أبوللو في اثينا لتسألوه . . .

الحكماء : نبئنا أيها النبي أبوللو . . قل لنا ياساطع الضوء : ماذا
سيكون حال بيتك هذا ولن سيثول من بعدك ؟

المؤرخ : ويرد عليكم اله النور والفن على لسان العراف فيقول :

أبوللو : سيكون بيتا للفضيلة والطاعة والنظام . انى ابشر بالثالث
بالرب الحاكم في الأعلى ، الذي تحولت كلمته الخالدة الى

ثمررة جسدية فى رحم عذراء طاهرة ، لأن كلمة الرب ستتطلق
كصاعقة من نار فى العالم كله وتقدمه للرب هدية • أما هذه
العذراء فاسمها مريم ••

الحكماء : انك تكذب يا ابوللو ••

**ابوللو : بل اخبر بالحق وبالصدق ، واقسم بمن يمسك بزمى
ويهبز أعنة صدرى ••**

الحكماء : ولم نصدقك بدليعة الحال ••

**المؤرخ : بل صدقتم ومضيتم فى نبوءتكم بالنور الطالع والرب الآتى
من علياء سمائه ، يفدى البشرية فى صورة بشر ثم يقوم
ويرتفع الى عرش أبيه ••**

الحكماء : نحن نفعل هذا ؟ !

**المؤرخ : وتبشرون بالوعد والخلاص على لسان بياس وصولون
وخيلون •• ويكون بياس أول المتكلمين فيقول :**

**بيياس : مستحيل أن أقول ما أقوله لغير المريدين والمؤمنين الا أن
تعوا بعقولكم ما أنطق به •• هذا الرب هو النور الروحاني
الطالع من نور الروح القدس • بالنور وبالأنفاس تلقى الوحدة
من روحه • كل شيء منه وعن طريقه • خصبا نزل الى الطبيعة
الخصبة فخلق الماء الخصب بالماء الخصب ••**

**صولون : وهو الذى جاء قادما من أعالي السموات ، أقوى من
نار اللهب الأبدى الخالد • ترتعش أمامه السماء وترتجف
الأرض والبحر والمحيط الذى تسبح فيه الأرواح السفلية •
وهو نفسه أبوه المثلث البركات •**

خيلون : يوماً سيجيء الى هذه الأرض المتصدعة وبلا خطيئة يتجسد
•• وبينعمة الألوهية ومشيتها سيرفع الفساد ويخلص من
الآلام التي لاتداوى ولا تشفى •

ولسوف يصيبه حسد الشعب ويعلق على الصليب كأنه
استحق الموت عقاباً له ، ثم يتحمل كل شيء في هدوء •

توكيديديس : ان طبيعة الخلق الالهى لاتعرف الكلل • والرب يحول
كلمته الى وجود •

ميناندر : اخش الرب وأمن به ، لكن لاتسأل من هو ولا كيف هو •
وسواء أدركت وجوده أم لم تدركه ، فاضع لهذا الوجود
وأعرفه • لأن من يحاول معرفة الله انسان خلا قلبه من
التقوى(٥٥) •

أفلاطون : الشيخ شاب والشباب شيخ ، الأب هو الابن والابن هو
الأب ، الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ، الذي بلا جسد متجسد ،
والأرض ولدت خالق السماء •••

الحكماء : نحن نقول هذا كله ؟

المؤرخ : والأدهى من هذا أن تقولوه وأكثر منه على لسان أشخاص
وليدوا بعد أن شيعتم موتاً ••

الحكماء : أى أشخاص لم نعرفهم أبداً ••

المؤرخ : بل عرفتموهم وقابلتموهم أيضاً ••

الحكماء : ماذا تقول ؟ كيف نعرفهم أو نقابلهم ••

المؤرخ : هذا ما يقوله الكتاب الورعون الذين دونوا المخطوطات
التي وصلتنا عنكم في عصر متأخر(٥٦) لقد جعلوكم تقابلون

فيلسوفاً سموه ديوجينيس وتدخلون بيته القاتم في اثينا الذهبية •

الحكماء : حقا ؟ نحن الحكماء السبعة ؟

المؤرخ : ولكن بأسماء أخرى بعد أن نسي أولئك الكتاب أسماءكم •
أتدرون من هم الحكماء السبعة الذين دخلوا بيت ديوجينيس
فأجلسهم ورحب بهم وأخذ يسمع حديثهم عن الهندسة والفلك
والتنجيم وطبيعة الأرض وغيرها من العلوم والفنون ؟ ••

الحكماء : ألم تقل انهم الحكماء السبعة ؟

المؤرخ : نعم ولكن بأسماء أخرى لم يراع فيها اختيار ولا ترتيب :
بلوتارك وأريس ••

الحكماء : أريس ؟ حتى اله الحرب والشقاق أصبح واحدا منا ؟

المؤرخ : نعم نعم • وكذلك هيريس مثلث العظمة • ولكنهم نسوا
اسمه الحقيقي غسموه « دون » مثلث العظمة •

الحكماء : مع أنا لم نعرف هيريس هذا ولا ••• ماذا قلت ؟

المؤرخ : بالطبع ولا كليو ميديس ••

كليوبوليس : حتى اسمى أخطأوا فيه ؟ ••

المؤرخ : وادخلوه فيكم أفلاطون وأرسطو وهوميروس ••

الحكماء : حتى شاعرنا الأكبر ؟ •

المؤرخ : أجل أجل •• ويعد أن فرغوا من حديثهم وقف ديوجينيس
الشيخ - الذي لانعرف ان كان هو ديوجينيس الأبولوني أم
الكلبي •• وخطب فيهم قائلا :

« أيها الرجال الإجلاء من فلاسفة الاغريق ومعلميهم الأوائل •
انى أسالكم : ماذا تهيم عناية السماء لأجيال الاغريق فى
أواخر الزمان ؟ لانى أعلم أن أبناء الاغريق قد استبد بهم الحمق
فراحوا يهيمون اذلاء بين الأصنام ويخوضون فى كل رجس ،
بعد أن تخلوا عن خالق كل شيء • أذكروا لى علامة تدل
على أنكم أعظم العظماء وأكبر المنجمين والحكماء • انى
أتوسل اليكم أن تخبرونى بها • ولسم يكذب ديوجينيس ينهى
خطبته حتى فتح بلوتارك فمه وقال :

بلوتارك : ذات يوم سيجىء من لابدائية له وابن من لابدائية له ،
سيجىء الكلمة الى هذا الأرض المعزقة ويسكن جسد عذراء
بريئة اسمها مريم • وسوف يتعرض لحسد الشعب الجاحد
ويعلق على الصليب • وأخيرا يقوم من بين الموتى وينقذ
العالم بأسره • أما اسمه فهو يسوع ، أى الطبيب ••

المؤرخ : ثم تكلم أريس ••

الحكماء : اله الحرب ؟ وهل لديه مايقوله ••

المؤرخ : نعم نعم • أليس غريبا أن يتحدث عن الحب والخلاص
والسلام فيقول :

أريس : سيأتى الابن من الابن ويطلب وهو ابن الابن ، أن يسكن
رحم أم ويولد لها كاملا فى صورة انسان ، وسوف ينقذ
جميع الأجيال من آدم الى شخصه ذاته ويقدمهم هدية
لأبيه ••

المؤرخ : وتكلم دون مثلث العظمة فقال :

مثلث العظمة : الرب عقل وكلمة وروح • والكلمة الذى تجسد

بارادة الأب سينقذ كل انسان من الضلال المريع ويقضى على
الشيطان ويمنح شعبه العماد • طوبى لمن يستجيب له ••
المؤرخ : ثم قال كليوميديس الذى يحمل بعض حروف اسمك
يا كليوبوليس ••

كليوميديس : الذى بسط السماء وأقام الأرض على المياه سيولد
بعد ذلك من مريم الطاهرة • وسيأخذ منها الجسد ويصبح
انسانا كاملا وخالق الكون • وسيسحق الموت ويقضى على
الشيطان ويهب للعالم الحياة ••

المؤرخ : ثم يأتى دور أفلامون الشهير فيرتدى ثياب مسيحي مؤمن
ويقول :

أفلامون : كان الله على الدوام وهو كائن وسوف يكون بغير بداية
ولانهاية • أما ابنه المسيح فسوف يولد من مريم العذراء وأنا
مؤمن به • وأنت أيتها الشمس ستريذنى من جديد تحت ظل ملك
تقى • أما معبد أبولو فسوف يهدمه وسوف يطلق على هذا
الآخر اسم أمه مريم •

المؤرخ : ثم يجىء دون المعلم الأول فيواصل كلام أستاذه ويقول :

أرسطو : فى تلك الأيام سيسطع نور الثالوث الأقدس فوق جميع
الخلق ، والأصنام التى صنعتها يد الانسان ، تلك الأصنام
الخرساء الجامدة التى يؤلفها شعب الاغريق ، سيقضى عليها
قضاء مبرما • أما اسمه فسوف يعظمه ملوك الأرض كلها
وسادتها الأقوياء • وسوف يعين اثنى عشر قاضيا وسبعين
معلما ليحكموا الأرض جميعا ويهدوها • أما هو فسيرفع بعد
عذابه وقيامته ويجلس الى يمين الأب ويعود مرة أخرى ليقاضى
الاهياء والأموات • وسيعطى كل انسان حسب عمله ••

المؤرخ : وأخيرا يأتى دور الشاعر هوميروس فيقول :

هوميروس : يوما سيجيء إلينا سيد الأرض والسماء ويظهر على
هيئة جسد بلا خطيئة • وسياخذ صورته البشرية من عذراء
عبرانية • سيسمونه الغفران والفرح • وسيصلبه شعب
العبرانيين الكافر • طوبى لمن يستمعون إليه وويل لمن
لا يستمعون •

المؤرخ : لما سمع ديوجينيس الجليل هذا الكلام تعجب من نبوءات
الحكماء السبعة • ثم دونها فى كتابه عن الطبيعة ووضعها فى
فى معبد أبوللو • ومنذ أن سادت بيننا ديانة الخلاص والرحمة
حكمتنا قسطنطين العظيم الذى كان أول الملوك المسيحيين ،
وعندما زار الملك أثينا أبدى رغبته فى هدم معبد أبوللو وبناء
معبد آخر لأم الاله • غير أنه عثر على الأوراق التى دونت
عليها نبوءات الحكماء السبعة • وقراها الملك التقى وتعجب
تعجبا شديدا ، لكنه أخذها معه على طريق عودته الى ملكة
المدن لكى تثبت ايماننا وتمحو الشر وتقضى عليه ••

المؤرخ : وتتركون بيزنطة يا حكمائي السبعة وترجعون مرة أخرى إلى الشرق وتلتقون في بلاط ملك شرقي . أن قصصكم لا تزال منتشرة في الغرب والشرق على السواء ، وهي تجري الآن على السنة الناس في بلاد العرب والفرس وتوغل في البعد حتى تصل إلى بلاد الهند . وتبلغ الحكاية في القرن العاشر آذان الغرب المبهور بسحر الشرق وأساطيره وحكاياته التي تفوح منها عطور المسك والعنبر والقصور والحريم ويطلع عليها رجل الماني أطلق على نفسه اسم يوحنا السكسوني فينقلها باللاتينية سنة ألف وأربعمائة وسبعة عن نص فارسي أو عربي نقل بدوره عن أصل هندي أن حكايتكم تتلفح الآن في ثوب شرقي وتروى بأسلوب شرقي يهيء الأنس والسمير في مجالس الشرب والرقص والخمر ، وليال من ألف ليلة يهمس فيها ضوء القمر . لكن لا تنسوا أنكم قد أصبحت في آخر المطاف شرقيين تواجهون الغرب المذهول بسحركم وإطلاعكم على الغيب المسطور من خيوط الكواكب والنجوم ، بعد أن كنتم أفريقا تتحدون ملوك الشرق ، بحكمكم وكبرياتكم أن هذه الخلاية

الحكماء : حكاية أخرى ؟ . . ألا تنوى أن تعيدنا إلى قبورنا ؟

المؤرخ : حكمتكم لاتسكن قبرا ، بل تحيي قلباً او فكراً .. أنها آخر
حكاية طافت بكم فى جهات الارض الأربع ..

الحكماء : آخر حكاية ؟

المؤرخ : نعم . فقد جاء عصر النهضة فرجع للأصول القديمة
وارتوى من المنابع الأصلية . وبذلك لم يترك فرصة لخيال
راوية يضيف من عنده ما يشاء ، ولا للمؤرخ ضعفت ذاكرته
وأصابها الوهن والانطفاء

صولون : أه ! تعبت من الرحيل والتجوال

طاليس : وأريد أن أستريح فى القرب أو حتى فى الماء

بيثاكوس : وأنا أريد أن أرجع لقبرى .. فلکم تجرعت المرارة فى
الحياة وبعد الحياة ..

خيلون : أما أنا فشبت من النسيان

برياندر : وأنا ممن صب على اسمى اللعنة وعلى الطغيان

الحكماء : من تقصد ؟

المؤرخ : ومن غير سندباد الحكيم ؟ ان الملك والوزراء السبعة ، وابن
الملك الذى سيربيه سندباد ويعلمه الحكمة ، والجارية التى
ستحاول اغواء الامير ، والحكايات التى سترويها الجارية
لتنعجل قتل الأمير الذى رفض أن يستجيب لغوايتها ، ثم
الحكايات التى يرويها الوزراء السبعة لكى ينقضوا ما أبرمت
الجارية ويؤجلوا قرار الملك بقتل ابنه ، وأخيرا حكايات
الأمير نفسه بعد أن انفكت عقدة لسانه فتساقطت الدرر من
عقد حكيمته وتناثرت اللآلىء من حبات سنبلته .

الحكماء : حكاية غريبة كأحلام الشرقيين .

المؤرخ : بل حكايات وحكايات ، معتدة كليالي أسماهم ، بطيئة وطويلة مثل صبرهم ونومهم ... ولكنني سأكتفى بحكاية الاستبداد الحكيم .

الحكماء : وبقية الحكماء ؟ ألم نتكلم عن سبعة ؟

المؤرخ : نعم نعم . انهم الوزراء السبعة . وكل واحد منهم يدخل على الملك ليروي عليه حكاية تبصره بعاقبة التعجيل بالقرار الرهيب . ثم تأتي الجارية في صباح اليوم التالي لتستحثه على اتخاذ القرار وتروي له حكاية أو حكايتين . ويدخل عليه وزير آخر ...

صولون : قل لنا اذا ماذا فعل طاليس بعد ان ركب سفينته وطوف ببلاد الهند والعجم

طاليس : او الرحالة صولون الذي اخفى عنا اخبار رحلاته

المؤرخ : اسمعوا بداية الحكاية وكل حكاية

الحكماء : وعدتنا بحكاية واحدة .

المؤرخ : وكل حكاية تبدأ هذه البداية . كان في قديم الزمان ، وسالف العصر والأوان ، ملك اسمه « كورديس » ، هو الملك المتوج على عرش هندوستان . بالغ رواة الحديث وأصحاب التاريخ في بيان فضله وكماله ، والثناء على عقله وعلمه ، والاشادة بعدله ورحمته ورعايته للرعية ، بحيث تسامح الصقر مع الحمامة ، وتصلح الذئب مع الشاة ، ورعت السوائم مع الأسود في أطراف الممالك وأكناف المسالك . لكنه على الرغم من سعده وعظمة مملكته ، كان يقضى الساعات في الفكرة والحيرة . كان يقول لنفسه في غرفة خلوته : طائر الملك بلا فرخ ، ودوحته بلا غصن ، وأصله بلا فرع .

ودخلت عليه جارية جمعت بين جمال الكياسة وكمال الفراسة ،
ولما رآته على هذه الحال قالت •

الجارية : ما هذا المتغير ؟ وما موجب هذا التفكير ؟

الملك : ألم تخبرك عين قراستك عن ثلوج الشيب في شعري ؟ ألم
ترى يد الأجل توشك أن تطوى بساط عمري ، وتجرعني كأس
قدرى ، وتدفع بي الى ليل قبرى ؟

الجارية : وماذا فى هذا يا مولاي ؟

الملك : ماذا فيه ؟

الجارية : لا بد من سماع نداء الأجل لأنه لا ربيع بغير خريف ،
ولا اجتماع بغير وداع •••

الملك : وأودع وليس لى ولد يجلس على سرير ملكى ، ويحفظه من
حسد الأصدقاء وغدر الأعداء ، ويشرق فى سمائه حين
تأفل شمسي ••

الجارية : الأمل فى فضل الخالق أن يكون وارث أعمارنا وأعمالنا •
ورغبة الملك فى خلق لائق وأمنية فى عقب رشيد تتيسر بصفاء
الطوية ، وتتهيا بخلوص النية وعرض الحاجة فى حضرة
أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ألم يأمرنا عز وجل : أَدْعُونِي
أَسْتَجِيبْ لَكُمْ (٢٨) ؟

المؤرخ : وتصدق الملك على الفقراء والزهاد والعباد ، وأدى ننور
الخيرات وأقام الصلوات ونواقل الطاعات ، وخلا بالجارية
المحبوبة فولد المبدى والشمس كواكباً فى جمال يوسف ، وكمال
المسيح ، على جبينه أنوار الكرم والعظمة ، ومخايل النجاة
والشهادة ولما خرجت هذه الثمرة من زهرة الوجود ، صرف

الملك نعماً فاخرة وأموالاً وافرة في الخيرات وفاء بالندور ،
واتماماً للسرور ، وأمر الحكماء والمنجمين . .

الحكماء : أه ! أصبح الحكماء مرة أخرى منجمين ! . . .

المؤرخ (مستمراً) : أمرهم أن يقرؤوا طالع الأمير ، فنظروا وحسبوا
وقابلوا وقالوا للملك العظيم : أهنا وعش مخلدا ! أن ولدك
سيفوق ملوك الأرض في العلم والحكمة ، والسخاء والمكرمة .
ولم يعلمن الملك فأمرهم بمعاودة النظر والحساب والمقابلة ،
فنظروا وقالوا : بعد انقضاء سنين من عمره سيعرض له خطر
على حياته ، ولكن الخالق سيسهل تلك المعضلة ، فلا يرى
بعدها أي مكروه . ولا يحط غبار على صفحات كماله . . ولما
بلغت سنه الثانية عشرة ، أرسله الملك إلى المؤدب ليتعلم آداب
الملوك ، ومرت عشر سنين فلم يتعلم الصبي أي شيء من مدارك
العلوم .

الملك : كل هذه السنين ولم يظهر عليه أثر . أه ! لقد اغتم فؤادي
وتولاه اليأس والضجر . هيا أحضروا الفلاسفة والحكماء !
. . ولما مثلوا في حضرته صاح فيهم : من منكم يعلمه ،
(دقائق العلم ويلقنه أسرار الحكمة ؟ من منكم يجعله خليفاً
بتيجان الملوك ؟ أيها الحكماء السبعة ! اختاروا واحداً منكم
وأسلموه زمام هذه المهمة . .

المؤرخ : وتدبر الحكماء السبعة ذلك الأمر ثلاثسة أيام بلياليها .
تناقشوا طويلاً ونظروا في طالع الأمير وأدلى كل واحد برأى .
وأحجم الجميع عن تعليم الصبي الذي لم يتعلم شيئاً في عشر
سنين .

حكيم : أن العود نبت أعوج ، إذا زاد التكلف في تقويمه ينكسر
ويتلف .

حكيم آخر : والصيد الذى ضدىء فى الأرض الملحة ، لن تنفع النار
ولا العقار فى اصلاحه و خلاصه ..

حكيم ثالث : اذا كان لم يتقبل التعليم فى بدء نشوئه ونموه ، فالآن
مستحيل ان يقبل التعليم .

حكيم رابع : كان النحس متصلا بطالع هذا الصبى .

المؤرخ : ولكن سندباد الذى حضر هذا الاجتماع فتح فمه وقال :

سندباد : الآن يزول هذا النحس . أنا أقبله وأعلمه .

المؤرخ : نظر الحكماء الى بعضهم وخافوا على انفسهم . لانوا
بالصيت مليا قبل ان يقول واحد منهم .

حكيم : ان كلمات السندباد تشبه البرق والرعد والسحاب الذى جفت
منه قطرات المطر ..

المؤرخ : وابتسم سندباد حين لمح ضباب الحقد يغشى نظراتهم وقال :

سندباد : الا تعلمون ان الحكمة فى الانسان مثل السمك والعنبر ،
كلما ابتل عوده بالماء ذاع شذاه وانتشر عبيره ؟ ألم يستطع
الانسان بالعقل والحيلة ان يستنزل الطائر من الهواء ،
ويستخرج السمكة من قساع البحر ، ويروض الأسد والفمر
والوحش الجامح ؟

احد الحكماء : ان هى الا كلمات لايعرف حقيقتها الا من يرى ثمرتها .
وشأنها ياسندباد شأن حبات القمح قبل ان يطحن ويخبز
ويؤكل ، والسفن الطافية على ظهر البحر قبل بلوغ الميناء ،
والشجعان قبل رجوعهم الى ديارهم ظافرين ، والمرضى
حتى يشفوا من الاسقام ، والخوامل حتى يضعن حملهن .

حكيم آخر : ولهذا لانستطيع ان نمثدح كلامك حتى نثبين نتيجه .

سندياد : ولكننى اعد الملك ان اتولى تربية ابنه حتى تفوق حكمته
حكمتمكم اجمعين ، واذا لم انجز وعدى ساقدم راسى لتقضى
فيها بحكمة عدله قضاءها .

الحكماء : مهلا ياسندياد مهلا ! لقد استغرقت فى تحصيل المعارف
والعلوم حتى كاد بحر حكمته ان يفرقنا . كل طائر اعطيته
حبة تربيتك جعلته ندا للعنقاء والطاووس . وكل من زينته
بحلى فضلك وعقلك يستطيع مساواة الشمس ومناظرة القمر .

سندياد : انى لا اغتر بمقالكم ولا يخفى على خوفكم وترددكم .

الحكماء : ان كان ثمة خوف فهو عليك .

سندياد : حقا ؟ ساذهب للملك واعلن استعدادى لتربية الأمير .

الحكماء : وسنذهب معك ونعلن انك ستجعله احكم الحكماء .

سندياد : حقا ؟ وسانجز وعدى فى اقصر وقت ممكن (يذهب)

حكيم (همسا) : وبعدها تسقط راسك فى حبرك

الحكماء (همسا) : او تسقط رؤوسنا فى سلة الجلال

المؤرخ : واتفق الحكماء على اختيار السندباد الحكيم لتعليم الأمير وعهد أبوه إليه بتربية ابنه وتعليمه مكارم الأخلاق ، وقوانين السياسة ، وأداب السلطنة ، ودقائق الشريعة ، وحقائق الطريقة . وشغل سندباد بتعليم الأمير جهد استنطاقه وقدم له كل ما فى وسعه من الجهد والطلاقة ، وبذل كل ما فى صدره من مدخر المعارف والطرائف . لكن المصطفى لم يوطن قلبه على العلم ، ولم يتحمل مشقة الحفظ والتحصيل . وظل سندباد يقول لنفسه لعل وعسى ، والولد لا يتقدم ولا يتأخر . وبلغ الملك عما كان من ابنه فتفكر وتحير ، وظهرت على صفحات وجهه آثار التغير . ثم ملكه الغضب فصاح فيمن حوله :

الملك : هل ولد ابنى بلا قلب ولا رأس ؟ كان سندباد يضرب بالطريقة على حديد بارد ، أم كان ينقش على سطح الماء ؟ احضروا سندباد ! احضروه فى الحال !

المؤرخ : وحضر السندباد فبادره الملك قائلا :

الملك : لماذا لم تألف قريحة الأمير الأدب والحكمة مع مشقة التعليم ؟ هل قصرت فى تربيته ورعايته ، أم كنت كمطرب الأسم ، وحامل المرأة إلى الأعمى ؟ تكلم ! لا تخف عني شيئا .

سنديباد : لا يخفى على جلال مولاي ولا على هؤلاء الأكابر - وهم
نجوم سماء الفضل ، ورياحين بستان العدل - أن هذا الذي
يشرف بالكلام اليكم قد تبحر في الحكمة والعلم ، وقضى عمره
في التعليم والتعلم . لقد قدمست كل ما يمكن ويتصور من
الاجتهاد ، ولكن ما كل من طلب وجد وجد ، ولا كل من ذهب
ورد .

الملك : إن الجواد الجامع أو الفيل الوحشي يعطونه لمن يروضه
ويهدبه فيودع جموحه ويغير طباعه في مدة يسيرة . فما بالك
لم تروض الأخير ؟

سنديباد : لقد عجزت عن تغيير قلبه وطبعه ، لأن ذلك أمر خفى عني ،
لا يتيسر بغير التأييد السماوي .

الملك : اتحمل السماء ذنب تقصيرك ؟

سنديباد : بل يحمله طالع الأمير

الملك : ماذا تقصد ؟

سنديباد : لقد زال النحاس الذي تريض به طوال تلك المدة ، وبدأت
السعود تطلع في فلكه . واتعهد بأن أعلمه في ستة شهور .

الملك : ما لم يتعلمه في اثنتي عشرة سنة ؟

سنديباد : نعم يا مولاي . أعلمه معالي الأخلاق ، ودقائق العلوم
وأسرار التنجيم ، وطرق علم الطب وخواص الأدوية

الملك : في ستة شهور ؟

سنديباد : بلا زيادة ولا نقصان

الملك : وإذا حدث التقصير والتأخير ؟

سندباد : اكون مستوجبا عقوبة ملك الملوك

الملك : اهو وعد آخر ؟

سندباد : بل وعد أخير أشفعه بطلب صغير

الملك : تكلم .. قل ما بدالك ..

سندباد : ان تأمر ببناء بيت مكعب تصقل سطوحه بالجص والحجارة ،
وتهيا للنقش عليها والكتابة

الملك : وماذا ستكتب عليها ؟

سندباد : هذا ما سوف يعرفه الملك والحضور ، عندما تسألون الأمير
فيتكلّم بعد ستة شهور ..

المؤرخ : أخذ سندباد يبذل جهده في تربية الأمير ، وواظب الأمير
وتحمل الآلام في مطالعة الصور والأشكال بقوة البصر ،
وسماع دقائق العلوم ولطائف الحكم بحامّة السمع ، حتى
حفظ الغرر والدرر ، واستوعب العجائب والغرائب . وكان
سندباد قد أمر بأن تنقش صور النروج والكواكب على أحد
سطوح البيت المكعب ، وتسطر على سطح آخر أنواع المعاملات
والأخلاق والآداب والعبادات وتثبت على سطح ثالث أسباب
العلل وأسماء الأدوية وصنوف الأمزجة ، وتبين على سطح
رابع أنواع الأصوات ومراتب الاوتار ومدارج الأوزان والألحان
وترسم على سطح خامس الأشكال الهندسية من مثلثات
ومربعات ومستقيمات ومنحنيات ، ويسطر على سطح سادس
قواعد تدبير الرياسة والسياسة ، وقوانين العدل والإنصاف .
ولما انقضت المدة وانتوت المهلة بعث الملك الى السندباد رسولا
يقول : ها قد حل الموعد فهل أنجزت الوعد ؟ وبعث سندباد

الى الملك على لسان الرسول : ان شئت ايها الملك حضر اليك
ولدي في الغد . ثم التفت للامير وقال :

سندباد : لقد ابليت اباك أنك ستكون عنده صباح الغد . سنعرض
عليه ماحصلات ، وتظهر ماحفظت ، وتشهد الجميع أنك قد
أصبحت نواة شجرة الملك ، وكوكب سماء الحكم .

الامير : ليكن ماتريد يامعلمي .

سندباد : غير اننى لم أنظر بعد في النجوم لاعرف طالعك .

الامير : افعل ياسيدي كما تقول . وانظر في النجوم لتعرف طالعي
ونصيبى .

المؤرخ : ونهض سندباد على قدميه ووضع الاصطرلاب ، وظل ينظر
درجات الطالع ويتحقق من الصور والأشكال والهيئات . ثم
صرخ ولطم وجهه وصاح .

سندباد : ويلى ! ويلى ! ماذا افعل ؟ !

الامير : ماذا بك يامعلمي ؟ ماذا رأيت حتى تفعل هذا بنفسك ؟ !

سندباد : أنظر بنفسك ياولدى وستعرف لماذا صرخت ولطمت وجهي .
في طالعك نحوسة وخطر الى سبعة أيام متصلة . واذا تكلمت
في هذه الأيام السبعة مع أى مخلوك يكون فى ذلك هلاكك .

الامير : ان أمرت أن لاأفتح فمى سبعة شهور لكاملة فلن أعص
أمرك . أطمئن يامعلمي .

سندباد : كيف أطمئن ياولدى ؟ اذا صحبتك الى الحضرة العلية تقع
فى الخطر ، واذا لم أصحبك أتعرض لعقوبة الملك . من لى
بعلاج هذا المشكل وتدبير هذا المعضل ! انهم سيصحبونك
غدا .

الأمير : وأين المشكل والمعضل يا معلمى ؟ سأطيع أمرك ولن أفتح
فمى .. وعندما يقتضى الحال تتدخل حكمتك ..

سندباد : وإذا كانت طوالع النجوم تقول : توار أنت ياسندباد فى
هذه الايام السبعة ..

الأمير : فلتتوار أنت اذن .. ولتتدخل حكمتى ...

المؤرخ : ولما ظهرت أنوار ملكة الكواكب ذهب الأمير الى حضرة
أبيه ووقف صامتا . وكلما ألح الملك والوزراء، وسألوه أن
يتكلم لم يسمعوا منه أى جواب . فقال الملك :

الملك : لعنسه يضل من هذه الجماعة ولا يطلق لسانه فى
حضرتنا . أرسلوه الى سراى الحرم عساه يتكلم مع أهل
الحجاب ..

المؤرخ : كان فى حرم الملك جارية هى الجمال بعينه . وكانت قد
عشقت الأمير من مدة مديدة ، فلما أن غاب عنها قنعت من
وصاله بالخيال ، وعللت قلبها عن فراقه بالأمال . وما كانت
تسمع بما جرى حتى ذهبت الى الملك وقالت :

الجارية : يا منبج الجلال ومطلع الكمال ، أرسل الأمير الى حجرة
جاريته . لقد رعيت الدر اليتيم وعرضته عن حنان أمه ..

الملك : نعم الرأى ما رأيت يادرة قلبى وقرة هينى .. ليذهب الى
حجرتك عساه أن يتكلم معك ..

المؤرخ : وأخذت الجارية بيد الأمير ودخلت معه فى حجرة الخلوة .
واقتربت منه وهى تبثه لأواعج الشوق ؛ وتفتح قفص الصدر
ليفرد طائر العشق . لم يفتح الأمير فمه فمدت يدها الى يده ،
واقتربت صدرها من صدره وتلوث وهمسست فى أذنه :

الجارية : افتح فمك كالوردة بوعد صادق ، حتى لا أمزق القميص
كزهرة الشقائق • انها دعوى القلب ، أنا معك ، لاتصرخ ،
ها هو باب حكم العشيق ، وما أنت وأنا ..

المؤرخ : وبقي فم الأمير مختوما بشمع الصمت • فمالت عليه حتى
كادت أن تلمس شفتيه وقالت :

الجارية : ضع يدك فى يدي • عاهدنى أن اسلمك هذا الملك وإذا
وفيت الوعود ولم تنقض العهود ..

المؤرخ : ولم يستطع الأمير أن يكتم اعصار غيظة فاطلق من فمه
بركان غضبه : -

الأمير : كيف تدخلين هذا المستحيل فى حد الامكان ؟

الجارية : أسم الملك بالحيلة ، وأضع تاج المملكة على رأسك ..

الأمير : هل يليق بالابن أن يتعرض لحرم الأب ؟ هل أبطل حق
الشريعة والفتوة ، من أجل قضاء شهوة ؟ اننى اذا قلت كلمة
فى هذه الأيام السبعة تكون سبب هلاكى وضياعى • ولولا
كوكب النحس والخطر ، لابلغت أمرك للملك المنتقم • لكننى
سأسكت وانتظر ، حتى تنقضى أيام النحوس وساعات البؤس ،
فتنالين جزاء العقوق ، وتعاقبين على خيانة الحقوق ..

المؤرخ : وخرج الأمير من حجرة الجارية وهو فى أشد الغضب •
وفكرت فيما بينها وبين نفسها وقالت وهى تعض بثنان الندم
على سوء تدبيرها ، وتغص بالدمع المنهمر على هول مصيرها :

الجارية : ويلى ويلى ! لقد لوثت عرسى بالخيانة والفضيحة وصيرته
هدف سهام العقاب والعذاب • ولو سمع الشاه الأعلى بما
جرى لبطلت ثقته فى عهدى وكمال محبتى ، وأنكر قديم اخلاصى

وودى • ويلي ! ويلي ! لقد عرضت نفسي لسطفه : ولا أمان
للبحر والنار والسلطان • وإذا أمكنتني تجنب البحر والنار
فكيف أتجنب غضب الملك ؟ ليس أمامي إلا أن ألجأ إلى لطف
الحيلة ، وبديع التعمية والتزوير • ليس أمامي إلا أن أطلا
الروح بالمقدم في هذا الطريق ! وقبل أن تنقضى مهلة الأيام
السبعة ويقرر الأمير خيانتني ، فلا بد أن أسسبقه وأتهمه
بالخيانة ••

المؤرخ : ومزقت الجارية ثيابها على الفور ، وانتزعَت شععرها
وخمشَت وجهها ، وصاحت وهي تجرى إلى تحت الشَّاه
متنكرة متحيرة ••

الجارية : الغياث يا مسلمين ! يا أيها السلطان ! يا ملك العالم ! يا ظل
الله في الأرض ومأوى لكل مظلوم ! أيجوز أن يصير في عهد
عبدك ظلم ، وترتكب في حق ذاتك خيانة ؟ •

الملك : ومن الذي ارتكب هذه الخيانة ؟ من تجرأ على هذا الظلم ؟

الجارية : لما صحبت الأمير إلى حجرتي ، أسفقت عليه شفقة الأمومة
وقلت له : يا ثمرة الشجرة الملكية ! لم هذا الصمت ؟ ولماذا
لا يفتني بليل لسانك على شجرة الكلام ؟ فما كان منه إلا كما
قالوا : سكت دمرًا ونطق كفرًا ••

فتح فمه وقال : موجب صمتي داء حبك الذي لا علاج له •
وهجرك الذي لا ينتهي • أه ! لقد وضعت يد العشق قفل السكوت
على فمي • فأعلمي أن حبك استزج بمائتي وطيني ، واستقر في
لحبي من المهد إلى هذا العهد • لقد أسعفت الحظ وأرسلني
الشَّاه إلى حجرتك • فأطلقى روحي من قيد هواك وأروى

عطش فمى من ماء بحرك ، واقبلنى خدمتى فى كعبة جمالك ،
حتى أقضى على أبى بالسيف أو بالسهم • ولما رأيت أن الجنون
قد استولى على قلبه ، وخفت أن يتبع الأقوال الذميمة بارتكاب
الفاحشة والجريمة ، خلصت شرفى من خناجر يديه ، وجريت
الى ظل رحمتك وعدت لك وأنا أقول • ما قالت زليخا : ماجزاء
من أراد بأهلك سوءا ؟

المؤرخ : وتأثر الملك وتعكر • ثم قال فى غضب الأسد الغضنفر :
الملك : الا أن يسجن أو عذاب اليم • لا لا • ليس هذا ولدى • •
انه ليس من اهلى • لا بد من قلع الشوكة وقتل الاعمى !
ولاعلاج للمعضو المريض الا القطع أو الحرق !

المؤرخ : وأشار للمسياف ان أخرجه وأهلكه • ولولا انكم كنتم
هناك •

الحكام : نحن ؟ • هناك فى بلاط السلطان ! •

المؤرخ : نعم • نعم • الحكماء والوزراء السبعة - كلكم كامل
وعاقل ، وناصح وعادل • تزينون سماء المملكة كالسيارات
السبعة ، وتثبتون قواعدا برأيكم الصائب ، وذهنكم الثاقب •
فقد اتفق أن كان الوزراء فى طريقهم الى الحضرة ، فلما
سمعوا ما قالتها الجارية اجتمعوا للتشاور والتأمل • وقال
الوزير الأكبر • •

الوزير الأكبر : لا يليق أن يلتفت السلطان الى مقال امرأة ناقصة
العقل • •

وزير : ويهلك ابنه فى سورة غضبه

وزير : ثم يتحسر ويندم حين لاتنفع الحسرة والندامة •

- وزير : وعندئذ لن يتهم رأى السلطان ولن يشك فى عقله .
- وزير : بل سندان نحن ونرمى بسهام السخف والحمق .
- وزير : ويلقى علينا ذنب تعجله ويعاقبنا على جريمته ..
- الوزير الأكبر : ويبقى عرش المملكة بغير وريث ، ويمطع العدو فى الديار ويودى بالطيب والخبيث .
- وزير : وإذا أمضى السلطان عزيمته ونفذ أمره ..
- وزير : لم يسبق أن فعل هذا بغير مشورتنا وتدبيرنا ...
- الوزير الأكبر : فلنسرع اليه قبل أن يقر قراره ..
- وزير : ويندم على حماقه وطيشه ..
- وزير : ونندم نحن على عقلنا وحكمتنا ! ...

المؤرخ : أخذ الوزراء والحكماء السبعة يتشاورون ويقتدرون .
واتفقت كلمتهم على الطريقة التي يخلصون بها الأمير من هول
المصير : فيذهب كل واحد منهم الى حضرة السلطان ويروى
له حكاية في حكر النساء وكيدهن ، وبذلك يبطل الحكاية التي
تكون الجارية قد روتها له في اليوم السابق لتستحثه على قتل
الأمير . وأعجبهم الفكرة الحكيمة ، ومضوا في تنفيذها
لعلها تدفع الداهية العظيمة وتؤجل العقوبة الجسيمة ، حتى
تمر أيام النحوس ، وتتبدل بأوقات السعود التي تحيي موات
النفوس . وأسرع الوزير والحكيم الأول الى السيفاف وقال
له :

الوزير : أوقف عقوبة الأمير ، حتى تتكشف الأمور . .
السيفاف : لقد أبلغتني رسوله الآن ، بمشيئة حضرة السلطان . .
الوزير : قلت أوقفها يا غبي ، وحذار أن تلمس شعرة من رأس الصبي
السيفاف : وإذا وصلني المرسوم والفرمان وعليه ختم السلطان . . .
الوزير : تلقيه في النار بلا إبطاء ، ما لم نجد عليه اختتام الحكماء
السبعة والوزراء . .

المؤرخ : وذهب الوزير الى حضرة السلطان ، وقدم شروط الطاعة ولوازم الثناء ، ثم قال : ليس يوافق رأى السلطان الكافى ، وعقله الوافى ، الاقدام على مثل هذه العقوبة الهائلة ، والتي يتعذر تداركها حين تنكشف شمس اليقين ، من حجاب الشبهة والظنون ، ويصبح حالكم كحال ذلك الرجل الذى قتل ببغاهه . ياقتراء امراته ، ولما ميز الحق من الباطل ، والزور من الصدق ، لم تجده الحصرة ، ولم تنفعه الندامة . . . وهناك حسالة الملك :

الملك : وكيف كانت تلك الحكاية ؟ قل ياوزير . . .

المؤرخ : وروى الوزير حكاية عن كيد النساء ، اتبعها بحكاية أخرى عن دهائن ومكرهن ، لكى يصرف الملك عن تسليم الأمير لريح الفناء ، بتزوير واحدة من بنات حواء . وسمعت الجارية فى اليوم التالى أن الملك أجل عقوبة ابنه ، لأن أحد الوزراء الحكماء ثناه عن امضاء عزمه . فذهبت أمام تخت الشاه ، واستقالت بعذله وانصافه ، وحثته على الاسراع فى تنفيذ العقوبة ، حتى لا يحدث له عين ما حدث للقصار من ولده العاق . .

الملك : وكيف كانت تلك الحكاية ؟ احكى أيتها الجارية !

المؤرخ : وروت عليه حكاية القصار الذى كان مشغولا بغسل الثياب فى النهر ، فرأى ابنه الأحمق الجاهل يفرق مع حمامه فى الدوامة ، واندفع فى الماء لينقذه فتشبث به الولد وأغرقه معه . فلما سمع الملك الحكاية قال :

الملك : هيا ياسيف ! عجل برقبة ابنى الفاسق العاق !

المؤرخ : وعندما وصل الخبر الى الوزير الثانى اسرع للسسياف
وقال :

الوزير : احذرك كما حذرك الوزير الاول ! اجل القتل حتى ارى
السلطان واحدثه عن فوائد ترك التهور والبعد عن مكائد
النساء . .

المؤرخ : وجاء الوزير الثانى فروى رواية وحكى حكاية عن الرجل
الذى ترك حقله الوحيد مع قط يحرسه ، ثم رجع الى بيته
فوجد على فمه آثار دماء ، وجن جنونه حين تصور انها دماء
ابنه ، فقتل القط ، شر نقتله . ثم اكتشف سوء فعله عندما
دخل بيته ووجد الطفل نائما فى مهده وعلى الأرض مزق من
لحم ثعبان اسود انشرب فيه القط الموى مخلبه ونابه . . وعادت
الجارية فى اليوم التالى فسرت رواية وحكت حكاية لاحباط
تنبير الحكماء لنجاة الأمير ، وتأجيل القرار المهلك الخطير .
وهكذا استمر الحال الى أن انقضت الايام السبعة التى حكم
على الأمير بأن يلزم فيها الصبر والسكون ، حتى يرتفع
من درجات النحوس الى كواكب الخير والسعود . وانطلق
لسان الأمير فأرسل الى الوزير الكبير ، وأثنى على حكمته هو
ومن معه من الوزراء ، وطلب منه أن يذهب الى أبيه ، ويحمل
اليه البشرى بنجاة من كل مكروه ، ويطلب منه الأمر باقامة
محفل يضم الاعيان والكبراء ، ويعرض فيه الأمير محصوله
من علم العلماء وحكمة الحكماء . واجتمع الجمع العظيم ،
وظفق الأمير يظهر علمه المكنون ، ويبرهن بالحكايات على
مخالفة التقارير للتدابير ، وكيفية تحول حاله من التعسير الى
التيسير واتجاه همة الى تحصيل انوار العلم والعرفان ،
وازهار الحكمة والبيان . . والفضل لله وللسندباد . . فالتفت
الملك الى السندباد الحكيم وقال :

الملك : كنت واثقا من عقلك وحكمتك ، وفضلك وشهامتك . ولكن قل
لى ياسندياد ، كيف ساعدت ولدى على تحصيل هذه الحكمة
الجليلة ، فى هذه المدة القليلة ؟

سندياد : لياذن مولاي بأن يرد الأمير على سؤاله ..

الملك : قل يا ولدى

الأمير : أصل كل العلوم العقل . وأصل العقل الحكمة . والحكمة
فيض ربانى . أو من يكون مسعود الحظ ، تنهيا له الأسباب
فتتنزل عليه .

الملك : والأسباب من تقدير الله يا ولدى ..

الأمير : جلت قدرته . وهو مسبب كل الأسباب ..

الملك : وبحكمة هذا الشيخ العاقل ..

الأمير : حكمته ورعايته وفضله . أما الأسباب فعدة حكم أو
كلمات ..

الملك : كلمات ؟ ماذا تقصد ؟

الأمير : كلمات سونها الشيخ على جدران القصر ..

الملك : يدهشنى قولك . تقصد تلك البيت المكعب الذى طلب السندياد
بناؤه ؟

الأمير : وعلى كل جدار سطر حكمه ..

الملك : اسمعنى بعضا منها .. قل ..

الأمير : من يستمع لأقوال الواشى والنعام ، يندم إذ لايجدى الندم
ويحيا فى الآلام ..

الملك : الحمد لله الذى نجانا منه ..

الأمير : من يتربى فى حضن الفطنة والعقل التام لا يغفل عن مكر عدو
كالثعبان السام .

الملك : نعم يابنى . أو شكت أن أغفل عنه ..

الأمير : مهما فعل الأخوان فلا تبغض أحدا فالجرح المؤلم من كف
صديق لا يؤلم أبدا ..

الملك : صدقت يا ولدى . لولاهم لجرحت جرحا لا يداوى .

الأمير : شاوور - أن رعت الراى الصائب - أرباب الحكمة والعقل
الثاقب .

الملك : ونعم ما أشار به الحكماء السبعة من غير استشارة .

الأمير : احذر أعداءك فى الداخل واضمم حاشية الثوب فالسهم
المارق من قوسك سيصيب القلب ..

الملك : الحمد لله الذى أطاش السهم الغادر

الأمير : العاقل من أزم الصمت وصام الدهر أن نطق يقول يتدبر
عاقبة الأمر ..

المؤرخ : ورفع الملك يديه الى السماء وقال : الحمد لله الذى زين
ولدى بزينة العقل والحكمة ، والآن آوان العزلة ، والاستعداد
للزاد ، والتهيؤ للمعاد . ذهب القسامون واحد واحدا ،
ولأحد يدل على العائدين ..

الحكماء : آم .. وذهبنا نحن أيضا ..

المؤرخ : ورجعتم يا حكماء اليونان السبعة .. فى أجيال منها
الحكماء ومنها أعداء الحكمة ..

الحكماء : أما الحكماء فقد تابعت خطاهم . لكن من هم أعداء
الحكمة ؟

المؤرخ : الدجالون ومن نطقوا باسم الحكمة . تجار الكلمة .
والقوالون الوراقون الكتبة . يتحرك قلم ولسان ، والقلب
الغادر خوان . وكر أفاع يُفزع منه الشيطان . . والكذبة
كالجارية بقصر السلطان . .

الحكماء : قلب خوان ؟ والكذبة كالجارية بقصر السلطان ؟ ماذا
تقصد ؟ . .

المؤرخ : ذهبت الجارية والأمير والسلطان والسندباد • لكن بقيت
تلك الكلمات على جدران القصر ••

الحكماء : الكلمات على جدران القصر ؟

المؤرخ : تلك التي ردها الوزراء السبعة والأمير • تلك التي حفظت
حكمتكم وحفظته •••

الحكماء : حكمتنا نحن ؟

المؤرخ : ربما تغيرت قليلا • ربما صارت خيوطا في بساط شرقي
ونسجت منها حكايات وحكايات •• لكنها أنقذت رأس الأمير •

الحكماء : وكيف عرفها الوزراء أو الحكماء السبعة ؟

المؤرخ : لا ندري كيف • هل نفختها ريح الوجدان الشمعي قطارت
من جزر اليونان لأرض العرب (٢٩) وأرض القرس ؟ هل نقلتها
قوافل التجار المسافرين أو حملتها سيوف المحاربين ؟ كل
ما تدريه أنها تسلسلت إلى القلوب قبل أن تظهر في وقت
الشدة ••

الحكماء : وهل لاحظت وجه الشبه بينهما ؟

- المؤرخ : وأنتم ؟ ألم تلاحظوه ؟
- صولون : حذار ! لا تبالغ فى شيء !
- المؤرخ : قالها الوزراء السبعة كل بطريقته • وعندما أسرف السلطان فى تهوره علموه أن العاقل هو من يلزم حده ••
- طاليس : الزم حدك • هذا قولى ••
- المؤرخ : ولما سبق لسانه عقله حذروه ••
- خيلون : لا تجعل لسانك يسبق عقلك ••
- كليوبوليس : استمع كثيرا وتكلم قليلا ••
- المؤرخ : وكذلك حذر الوزراء السبعة : العاقل من لزم الصمت وصام الدهر ، أن نطق بقول يتدبر عاقبة الامر ••
- بيرياندر : ليتهم قالوا للملك ما قلت : أن خالفك الحظ فراع العدل • وإذا النحاس أصابك فارع الحكمة والعقل ••
- المؤرخ : وهل قالوا له غير هذا ؟ لقد اندفع وراء طيشه وغضبيه فظفروا يلحون عليه أن يتريث ويؤجل قراره :
- شاوور — أن رمت الراى الصائب —
- أرباب الحكمة والعقل الثاقب
- صولون : لو بدأ بمعرفة النفس ••
- طاليس : ألم أقل أنها أصعب شيء ؟
- المؤرخ : ولكنه عرفها فى النهاية •• ولولا حكمتكم ••
- صولون : قلت لا تبالغ فى شيء !

المؤرخ : لولاها ما بقيت رأس الأمير على رقبته • فالحكمة تتدخل
في وقت المحنة • وإذا غابت واغتقد الناس الحكماء ولم يجدوا
القدوة ••

الحكماء : فالكارثة أو اللعنة :

المؤرخ : ذلك حق • ولهذا نحيا في المحنة ••

الحكماء : كيف وما زلت تردد حكمتنا ؟

المؤرخ : وأعلمها ويعلمها غيري • نكتب عنها ونريدها • لكن من
يحيها ؟ من يذكرها ويحققها في نفسه ؟ ••

الحكماء : هل غاب الحكماء وجفت آبار الحكمة ؟

المؤرخ : بل أصبح كهان الحكمة أعدى أعداء الحكمة ••

طاليس : دعنا نسمعهم صوت العقل ••

صولون : أو ندعهم للمأدبة الكبرى ••

طاليس : ونذكرهم - قبل فوات الوقت - بأقوال الحكماء السبعة ••

المؤرخ : هل يجدى هذا مع من لا يعرف نفسه ؟

طاليس : لن يجدى شيء غيره ! •• أنا أبدا قولى :

اعرف نفسك !

معرفة الناس هي الحكمة

• لكن معرفة النفس ضياء •

والنور الأكمل لا يتدفق •

لا يترقق الا من مهجة شمسك

• صن نبع صفائك •

دد عنك السحب لكى لا تغشى شمس سمائك
واعرف نفسك يا صاح بنفسك !

المؤرخ : اتقيد الحكمة من لايعرف حدد ؟

كليوبوليس : اسمع قولى له : -

الزم حدك ، لا تطمع !

واذا أحسست الرغبة فارغب فى شيء واحد :

الا ترغب شيئا !

ليس هنالك جرم أبشع

لا تكبة فى العالم أقطع

من أن تأسرك الشهوة

ويسوقك ثور الجشع الأعمى

للثور الأجهش ..

فارض بما عندك واقنع .

الألوان الخمسة تعمى البصر فلا تطمع

والنغمات الخمس الماشزة تصم السمع

فارقد فى حضن الصمت

وازهد فى اللذة فاللذة باب الموت .

مر على الحان ولا تتطلع ..

حتى المعرفة أو الفطنة

حتى الحكمة ان جاوزت الحد

فنبذ الحكمة انفع !

من ربح العالم فهو الخاسر

أما من خسر النفس
فإن خسارته أوجع ..
المؤرخ : والمتظاهر .. لا يشغله إلا المظهر ،
هل يجدى معه النصيح ..
بياس : تدبر !
واصدق مع نفسك
كن ، لا تظهر !
واسمع قول « بياس » وتفكر :
هل تظهر علمك وتؤكد أنك فى العلم مقدم ؟
ليتك تعلم
أن العلم يميت الحكمة
والأعلم ليس هو الأحكم .
فى أوقات المحن وزحف الطوفان الأعظم
يصبح أنكى الناس كأغباهم
والأفصح فيهم أبكم .
هل تظهر أنك أنت البطل الأوحده ؟
أنك بعد المذبحة الكبرى
صرت المنتصر الأعظم ؟
البطل الأوحده - فيما يؤثر من القدم عهد -
لكسب المعركة وفى الوعد
ثم توارى لم تره إلا عين الرب
عبر الى الشط الآخر وانتظر الشعب
انتظر الموكب والبطل الظاهر

ليتوجه الكليل المجد
مالت شمس نهار وانحدرت شمس أخرى للغرب
أما البطل فغاب ولم يظهر بعد (٤٠) ١٠٠

المؤرخ : من يتخذ الحكمة ترفاً أو يجعل منها حلية
ويثرثر - مثل الحاوي - في زمن الضنك عن الحرية
ما قولك له ؟

بييتاكوس : إن ينفع قول في زمن يسقط معنى القول .
فاجدل من قولى حبل الثورة والفعل . .
يا من تلبس ثوب الحكمة في زمن المحنة والآحزان
اصنع من قولك حجراً وارجم كل الأوثان .
الشعب العاجز لا يملك دفعا للطغيان
هل تتأمل ضوء القمر وشعبك في الوحل مهان ؟
الثورة هي فصل الحكمة ، ثر وتحرك !
واقضب للحق وأعلن للعالم سرك وارفع صوتك !
وإذا اختل نظام الشعب وساد الرعب
وضاع الواجب والقانون
فالحكمة في المحنة خوف والطيبة ضعف
والعقل جنون
عندئذ تستل الحكمة سيف العدل
وترفع أعلام الثورة والحرية
وتقاتل كي لا يسقط هذا العالم
في كف العسف الديموية .

جاء الحكماء وجاء الرسل وتركوا للناس وصية
للفقراء المحتاجين لخبز الحكمة والحرية
فروا من وجه طغاة الأرض ولبوا صوت الشعب
 واجتمعوا تحت لواء اليأس زمانا
ثم تواروا في ليل الغيب :
رهبان الهند وكهنة طيبة والفقراء بمكة ،
اتباع البوذا وزرادشت وكونفوشيوس والطاوية
والمحزونون مع المحزون على جبل الزيتون وفي جلجثة يوم
الصلب مدوا حكمتهم طوق نجاة للبؤساء وعاشوا من أجل
قضية الحكمة في وقت المحنة تتار وتثور وتضرب !
كن نورا في ليل العالم والحكمة شمساً وسماً
تنقشع السحب وتقصر عنك سهام السفلة والسفهاء
واترك هذا العالم خيراً مما كان عليه
حين أتيت إليه ٠٠

المؤرخ : حق ما قلت ويبقى القول هو القول
أعداد الحكمة لن ينفع معهم قول أو فعل

الحكماء : جرب ! ٠٠

المؤرخ : جربت والقيت البذر
لم احصد غير الحسرة والثمر المر
الحكماء : قد يقع المطر على أرض صالحة خصبة
ويمر الصدق على الكاذب فيحرك قلبه

المؤرخ : أعداد الحكمة فى هذا العصر .

صم كالصخر .

شبهوا فى حجر المكر وشابوا فى حضن الغدر .

ماذا تنتظر من الأوغاد الكذبة ؟

القوالين الوراقين الكتبة .

شهود الزور ونهازى القرص

لصوص الموتى والأحياء النبهة .

هل ينبت زرع فى أرض خربة ؟

اغتالوا الحق وراحوا ييكون الميت

واقاموا الماتم وانطلقوا وباعلى صوت :

الكاذب ينعى الصدق وينشد أروع مرثية

والمتسلط يبكى الحرية

والمتسلق يندب حظ الشرف الضائع وعبيد السلطة يفتون عن
الثورة

والساجد للدولار يحض الناس على الزهد

ويسهب فى مدح الفقر وإخلاص النية

والكل يصيح ويصرخ ويثير من اللاشيء قضية ..

الحكام : الكل ؟ الا تستثنى أحدا ؟

المؤرخ : استثنى القلعة وأقل من القلة .. من بالطبوع أو العزة

والأنفة .. عاشوا فى كنف الغربة ..

الحكماء : اتعيش الحكمة فى تلك الغربة ؟

المؤرخ : وتعزى النفس بذكرى الحكماء السبعة ..

الحكماء : ومن سيعزى الحكماء السبعة ؟

المؤرخ : أن الحكمة تبكى أيضا ..

الحكماء : ابكى أيتها الحكمة ..

ابكى أيتها الحكمة ..

عبد الغفار مكاوى

يناير ١٩٨٧

الهستواش

(١) ميناء مدينة روما عند مصب نهر التيبر . يبدو أنه تأسس في النصف الأول من القرن الرابع ق.م ، وتسببت العواصف الرملية في ردمه وفقد أهميته بعد تأسيس ميناء أغسطس . كشفت الحفائر عن ألواح حجرية تحمل معلومات تاريخية هامة ، ومن بينها ألواح نقشت عليه بعض عبارات الحكماء السبعة ويرجع أنها كانت لتعليم التلاميذ .

(٢) الألياذة ، النشيد الأول ، ٤٠٥ وما بعده ، والنشيد الثالث ١٤٦ وما بعده .

(٣) هرمان غرتكل ، الأدب والفلسفة في العصر الإغريقي ، ميونيخ ، دار النشر بيك ، ١٩٦٢ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٦ .

(٤) الفلاطون ، محادثة طيماوس ، ٢٢ ب .

(٥) أرسطو ، نظام الأخييين ، ٥ ، ١ .

(٦) راجع من بياس : ديوجينيس اللايرسي في كتابه من حياة مشاهير الفلاسفة وأدائهم ، ١ ، ٨٤ ، ٨٨ ، وكذلك بلوتارك : المسائل الإغريقية ، ٢ ، وشلر أرسطو من دستور ساموس (رقم ٥٧٦ ، دول) .

(٧) تاريخ هيرودوت ١ ، ٢٣ وكذلك ٥ ، ٩٥ - والظر أخبار بريانلو عند أرسطو ، كتاب الخطابة ١ ، ١٥ ، ١٣ ، ١٣٧٥ ب ، وعند ديوجين اللايرسي في كتابه السابق الذكر . ١ ، ٩٩ .

(٨) الشذرة ٣٦٠ من أرقامه الباقية . راجع طبعة ماكس مروى ،
لوسكولوم ، ميونيخ ، ١٩٦٣ .

(٩) راجع في هذا كنه ديوجينيس اللارتي ، المرجع السابق
١ ، ٣٠ - ٤٠ - ٤٢ - ١٢٢ .

(١٠) أي ما يقرب من سبعة كيلو مترات .

(١١) راجع الحكاية كلها في تاريخ هيرودوت ١ ، ٢٩ - ٢٣ ، ٨٦ - ٨٨ .

(١٢) كانت مملكة الليديين تقع في الجزء الغربي من آسيا الصغرى ،
وقد أدى انهيار دولة الفريجيين حوالي سنة ٦٩٠ ق.م إلى ظهورها على
مسرح الأحداث ، فحررت نفسها من سيطرة الكهريين وأخضعت المدن الأفرقية
على الساحل الغربي لآسيا الصغرى . أما كرويزوس (ولعله هو قارون
المذكور في القرآن الكريم والكتاب المقدس) فهو أحد الملوك الذين حكموها
(من ٥٦٠ إلى ٥٤٦ ق.م بعد جيغيس والياتيس) . وازدهر ملكهم بعد
انتصارهم على الميديين . زحف قوريش الثاني ملك الفرس في سنة ٥٤٧ ق.م
على المملكة وحاصر عاصمتها الرالمة ساردس وأسر كرويزوس وهيا له العربة
ثم عفا عنه كما مروى حكاية الحكماء السبعة ، وهناك رواية أخرى تنسب
إلى الياتيس ملك الليديين أنه بعث رسولا يسأل مراة مبد دلف : من هو
أستد انسان فوق الأرض ؟ ويبدو أن الملك كان يتوقع أن يلقى الجواب بأنه
أستد السعداء ما دام يملك القوة والأبهة وكنوز الذهب والفضة بغير حساب .
ولكن النبوة قامت : أستد الناس هو أجلاوس بن بسوليس . وبحث الملك
عن هذا السعيد المجهول وأرسل جندهم يفتشون عنه في كل مكان . ثم جاءه
الرسول بعد أن مشوا عليه فلجل وساح : فلاح بالي رد الرسل قائلين :
وهو بسيط وثق صالح . والحكايتان تؤكدان أن اعتزاز الأفريقى بوعيه
وحكمته وكبرياله وبساطته في مواجهة ملوك الشرق بشرائعهم وأبهة قصورهم
ولجبرهم .

(٢٣) تقوم هذه اللوحة على ثمان رسائل متبادلة بين عدد من الحكماء
السبعة ، وكانت تؤلف في تصور القديسة شكلا من أشكال الرواية
التاريخية على هيئة رسائل . وقد ذكرها مؤرخ حياة مشاهير الفلاسفة ،
ديوجينيس اللارتي ، ووزعه على سير الفلاسفة كل على حدة . ولهذا حاولنا

الجمع بينها وترتيبها على هذه الصورة التي أودعها الأستاذ « برولوسنيل » في كتابه عن حياة الحكماء السبعة وأدائهم . ويبدو أن الرواية الأصلية كانت أكبر وأشمل مما توحى به هذه الرسائل المتبقية . فرسالة طاليس إلى صولون تشير إلى رسالة سابقة تلقاها من بياس ، كما أن الرسائل المتبادلة بين طاليس وفيريكيديس يحتمل أن تكون جزءا من رواية تاريخية أخرى ، ولكن المؤكد على كل حال أنها تشير - كما تفعل الرسائل المتبادلة بين صولون وطاليس - إلى الرحلات التي قام بها الحكماء السبعة والصلات التي كانت قائمة بينهم والزيارات واللقاءات التي جمعتهم . والملاحظ أن الرسائل لا تذكر غير ستة من الحكماء ، كما تستبعد الحكيمين بيرياندر وبيناكوس اللذين كانا من الطغاة المنفردين بالسلطة ، ويرجع هذا إلى الروح السائدة في هذه الرسائل التي تحمل حملة شديدة على الملكية والحكم الفردي المستبد كما تمثل في شخصية بيزيستراتوس ، ولهذا كان من الطبيعي أن يستبعد الاسمان السابقان . والثابت أيضا أن هذه الرواية التاريخية ترجع للمصر الهلينيستي ، ويرجح أن تكون قد نشأت في النصف الأول من القرن الثالث ق.م ، تدل على ذلك الروح الواقعية التي تطلب عليها وربما يدل عليه أيضا أن كاتب الرواية قد استعمل بالشخصيتين اللتين استبعدهما شخصيتين أخريين معروفتين بالورع والتدين وهما ابيمينيدس الكاهن الكريتي الذي يقال أنه خلص أثينا من وباء الطاعون وفريكيديس الذي ينسب إليه كتاب عن اللاهوت وأنساب الآلهة .

(١٤) ملك أسطوري حكم أثينا ويقال أنه حماها من عججات الاسبرطيين وسقط دفاها عنها . يذكر المؤرخ باوزانباس أن المتقال المشهور فيدياس صنع له تمثالا في دلفي ، كما يذكر أرسطو في كتابه عن نظم الاثينيين أن الاثينيين من نسل هذا الملك ، ولذلك يسمون أيضا بالكودريين .

(١٥) ترجع هذه الحكم والأمثال والتعبيرات المسأورة إلى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وبداية الاهتمام بجمع التراث بوجه عام في مجموعات مختارة . وكان من الطبيعي أن تنسب معظم هذه الأقوال والأمثال للحكماء السبعة الذين تمثل « الحكم » الحاربية جوهر حكمتهم . وقد وصلت اليثا أهم هذه المجموعات المختارة تحت اسم السياسي والفيلسوف ديمتريوس الفاليريوني (من حوالي ٣٥٠ إلى ٢٨٠ ق.م) الذي حشد في مجموعته عددا

كثيرا من الأقوال والمباريات التي تثلب عليها الثقافة والضحالة بصورة واضحة . وقد أقيمت عليها حفاظا على الروح الشعبية التي تميزها من ناحية ، وعلى الصورة الشعبية التي تظهر بها الحكماء السبعة من ناحية أخرى ، وذلك على الرغم من اللل الذي يمكن أن تبعثه في النفس وخلق مظهرها من أي حكمة حقيقية . . ولعل هذا يدل على أن الحكماء المشهورين كانوا قد تحولوا إلى شخصيات مثالية تفتقر إلى الحياة ، وراح الناس يهبطون على مؤوسهم دكام الأقوال والأمثال بلا تمييز .

(١٦) تعتمد هذه الحكاية من « الكأس الذهبى » على أبيات من الشعر للعالم والشاعر السكندري المشهور كاليماخوس الذي عاش وكتب في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد ، وفيها نجد شخصية اعجوز الأوكاذى باليكليس ولصته مع أبنائه على نحو ما أوردتها في بداية هذه اللوحة . وقد روى ديوجينيس اللايرسى الحكاية نفسها نثرا في كتابه عن سير الفلاسفة (١ - ٢٩) وأكمل بذلك الأبيات التي يقولها الشاعر السكندري على لسان روح الشاعر الاثريتي القديم هيبوناكس (حوالى ٤٥ ق.م) التي سمعت من عالم « هاديس » السفلى لتسخر من علماء النحو السكندريين وتحثهم على ترك خلائهم المقيمة . . والمهم في رواية كاليماخوس أنه يفسح الكأس الذهبى في مكان المبخرة ذات القوائم الثلاثة التي وردت في روايات شحيحة ترجع إلى ما قبل العصر الهلينستى . ولعل الروايين معا أن يكونا صورة أخرى من الأسطورة القديمة من النزاع الذي وقع بين الآلهات الثلاث هيرا وإثينا وأفروديت من أجلهن واحقهن بالثفاحة الذهبية واحتكامهن إلى « باريس » للفصل بينهما . ولعل شخصية سقراط الذي رخص أن يصدق نبوة دلفى المشهورة بأنه أحكم الإلهيين قد أثرت أيضا على صورة الحكماء المتواضعين .

(١٧) يبدو أن أغنيات التراب (سكوليا) الواردة في هذه اللوحة على لسان الحكماء السبعة كانت جزءا من كتاب شعبي ضائع من مائدة ضمتهم في دلف أو في قصر الملك كرويلوس أو في مكان آخر لا نعلم عنه شيئا . ويبدو أيضا أن هذا الكتاب الضائع قد كان نواة لكتب المكاتب وأحاديث الفلاسفة التي تواتت بعد ذلك من « مائدة » اللاطون المرووفة حتى مائدة الحكماء السبعة للمؤرخ بلوتارك في أواخر العصر القديمة (عاش من حوالى ٤٦ إلى حوالى ١١٩ ميلادية) . والمهم أن الأغاني التي تضمها هذه اللوحة

لنود حول اللغة التي يمكن أن تعبر عن أحاسيس البشر تعبيراً صادقاً كما يمكن أن تستخدم للعش والخداع والتمويه والمبالغة . والظاهر أن المكان والمصر الذي نشأت فيه هذه الأفنيات (وهو أحيانا القرن الخامس ق.م) قد واجها نفس الأسئلة التي تلح علينا اليوم أمام سيل الكذب والريف والاتجار بالكلمة وتحريفها من مواضعها .

(١٨) يروي هذا القول على لسان هيراقليطس وقد ذكره ديوجينيس اللايرسي ١ ، ٢٥ .

(١٩) يحلى أوسط هذه الحكاية الشهيرة في السياسة ، ١١١ ، ١١٢٥٩ .

(٢٠) يؤكد الفلاطون هذا الجانب النظري والتأملي الخالص بحكاية السهورة على لسان سقراط لحدثه فيودوروس من وقوع طاليس في بركة ماء لانشغاله بالنظر الى قبة السماء وتأمل النجوم بحيث ضحكت عليه فتاة تراقية مرحة رآته متصادفة وسخرت من شغفه بمعرفة ما في السماء وانصرافه عن معرفة ما يجري أمامه ونحت قدميه . ويدافع سقراط عن طاليس بأن هذه السخرية تنطبق على كل من يحيا في الفلسفة ويهتم بالبحث عن ماهية الانسان - لياييتيوس ، ٢٤ ، ١٧٣ ج - ١٧٤ .

(٢١) انظر هذه الأفنيات في كتابي عن سافو ، القاهرة ، دار المعارف سنة ١٩٦٦ .

(٢٢) وردت الحكاية عند الكاتب اليوناني (حوالي سنة ٢٠٠ ميلادية) وقد أخذها عن موسوعة المؤرخ ستوبايوس ٣ ، ٢٩ ، ٥٨ - وهي التي ضمت مجموعة ضخمة من المنشورات الشعرية والنثرية من الأدب اليوناني انتخبها صاحبها في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد لتعليم ابنه سينيوس ورتبها ترتيباً موضوعياً من الميثافيزيقا الى التدبير المنزلي .

(٢٣) وردت أفنيات الشراب (سكوليا) في كتاب ديوجينيس اللايرسي السابق الذكر ، ١ ، ٣٥ - ٦١ - ٧١ - ٧٨ - ٨٥ ، ٩١ - ويلاحظ أن بريانلير طافية كورنثيه لم يرد ذكره في هذه المأدبة ولا في صيغها المتأخرة ، كما أن الفلاطون يغفله أيضاً في كلامه عن مأدبة الحكماء السبعة في محاورته « بروتاجوراس » مما يدل على اعتماده على الكتاب الشعبي ، الضائع الذي سبقت الإشارة اليه .

(٢٤) عن بلوتارك (من حوالى ٤٦ الى ١٢٠ م) ، مادة الحكماء السبعة ، ١١ ، ١٥٤ د ، ويلاحظ في هذه المجموعة والمجموعات التالية من « الاجابات » انها تمثل جنسا أدبيا ازدهر فيما بعد منذ العصر الهلينى والمصور التالية ، وكان السؤال دائما يوجه بصيغة الفعل التفضيل : ما الأحكم أو ما الأفضل ، وكانت الاجابات تنسب عادة الى الحكماء السبعة ، وان كان معظمها يرجع لوقت متأخر سادته روح مختلفة . ونحن نقابل لعبة السؤال والجواب في حكايات اخرى غير الحكايات المسافرة عن الحكماء السبعة ، كما في حكاية اللقاء الذى تم بين الاسكندر الاكبر والبراهمان الهندى ، أو في صور اخرى من قصة الاسكندر في التراث الدينى والشعبى ، كقصة شى القرنين مع الخضر عليه السلام ، ثم في كتاب « سندباد نامه » الذى تعتمد عليه اللوحتان الأخيرتان في هذا الكتاب .

(٢٥) بلوتارك ، مادة الحكماء السبعة ، ١٢ ، ١٥٥ ج .

(٢٦) وردت هذه الاجابات عند ستوبايوس ٤ ، ٢٨ ، ٧ ، ٢٧ ، ١٣ ، ٢٥ ، ٥ .

(٢٧) بلوتارك ، مادة الحكماء السبعة ٩ ، ١٥٢ ج ، وديوجينيس اللارتس ١ ، ٣٥ ، وستوبايوس ١ ، ٢٤ ، ٧٢ ، ١٠٢ ، ١٥٧ .

(٢٨) هو ديسيموس ماجنوس أولونيوس ، العالم الشامى وأستاذ النحو والبلاغة الذى ولد حوالى سنة ٣١٠ للميلاد في مدينة « بوردو » . ويات في اواخر القرن الرابع . عمل مربيا للامير جراسيان الذى أصبح قيصرًا فيما بعد وقلده المناصب العالية ، وبعد اغتيال جراسيان سنة ٢٨٣ انسحب الى ضيعته بالقرب من مدينته بوردو وفرغ لشعره وكتابه المتومة التى تفوقت قيمتها التاريخية والحضارية على قيمتها الفنية والأدبية . وقد كتب هذه المسرحية القصيرة أو هذه اللعبة التمثيلية عن الحكماء السبعة وهو في شيخوخته حوالى سنة ٣٩٠ ميلادية عندما أصبحت الثقافة جافة ضحلة ، وانعكست الضحالة والجفاف على شخصيات الحكماء السبعة الذين يتتابعون على المسرح كأنهم آلات تحركها ساعة آلية ويلقون كلماتهم كما يفعل تلاميذ المدارس الذين يرددون أدوارهم المحفوظة .. وعلى الرغم من رداءة الأشعار وخطأ كثير من المعلومات فإن لهذه اللعبة أهميتها في وقت العلم فيه الشمر الدرامى أو كاد .

(٢٩) وهو الثوب الأبيض اللؤلؤى المعروف بالتوجا .

(٣٠) يلاحظ أن حكم الحكماء السبعة وعباراتهم قد ورت في الأصل اللاتيني باليونانية .

(٣١) ما بين قوسين إضافة مني لتوضيح معنى العبارة التي يقال على لسان صولون إلى الملك كرويزوس (انظر اللوحة الثالثة) .

(٣٢) أذكر القارئ بحكاية الكأس الذهبى أو البرونزى الذى عُثر عليه الصيادون في خليج مسينا وعليه النقش إلى أحكم الحكماء (اللوحة الخامسة) كما أذكره بأن الحكاية نفسها تروى في صياغة أخرى من وراء ذهبى أو برونزى ذى ثلاثة قوائم يستخدم في المعابد لإطلاق البخور .

(٣٣) الإشارة إلى رسالتين من العصر البيزنطى عرف العلماء أولاها من عدة مخطوطات دونت ابتداء من القرن الثانى عشر . وفي هذه الرسالة بقية من العصر القديم وبعض أسماء الحكماء السبعة . أما الرسالة الثانية التي ترجع مخطوطاتها إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر فتزدهم بخلط لا مثيل له ، ولا تكاد نجد قبوسا غير أفكار من العهد القديم والعهد الجديد ، على لسان شخصيات مشهورة مثل هوميروس وأفلاطون وأرسطو وهرميس مثلث المظلة (وهو في الأصل تحوت إله الحكمة والكتابة المصرى) وعندما يذكر الكاتب اسم أحد الحكماء السبعة نجده يخطئه فهو مثلا يجعل اسم كليونبوليس كليون ميديس .

(٣٤) ولد بالاسكندرية وعلم فيها من حوالى سنة ١٥٠ إلى حوالى سنة ٢١٥ بعد الميلاد . تأثر بأفلاطون بوجه خاص وبالرواقية وفلسفة ليلون وهو من رواد الفلسفة المسيحية والغنوس المسيحي ، وقد اعتقد أن الكلمة أو اللوجاس ظهر لعله وتأثيره على الفلسفة الوثنية ، وخصوصا فلسفة افلاطون التي فسرها تفسيرا مسيحيا وتمسور أنه لا غنى عنها في التسامى إلى الله والتوجه إليه .

(٣٥) تعرضت في هذه المقاررات المنسوبة إلى الشاعر المسرحى « ميناندر » حتى يستقيم المعنى الذى يدور حول الخشوع لله والتعبد من محاولة معرفته والبحث في طبيعته . واليك الترجمة الحرفية للأصل :
أخشى الرب وأعرفه ، لكن لا تبحث من ذاته ولا من صفاته ، وسواء أكان

موجودا أم غير موجود فعليك أن تجله وتمرقه بوصفه موجودا . ذلك أن الجاحد هو الذى يسعى الى معرفة الله .

(٣٦) المقصود هو الرسالة الثانية التى مر ذكرها فى هامش سابق .

(٣٧) انظر كتاب سندباد الحكيم (سندباد نامه) فى ترجمته العربية الرائعة عن الفارسية للدكتور أمين عبد المجيد بدوى - القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٧٨ م .

(٣٨) وقال ربكم ادعوني استجب لكم (السورة رقم ١٠) (غافر) الآية ٥٠ .

(٣٩) ورد ذكر الحكماء السبعة ومقتطفات من أقوالهم عند بعض الفلاسفة المسلمين والمؤرخين للحكمة وطبقاتها .. فالبيرونى يذكرهم فى معرض كلامه عن قدماء اليونان (تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ٢٤) فيقول عنهم : « ان قدماء اليونانيين قبل نجوم الحكمة فيهم بالسبعة المسلمين اساطين الحكمة هم : أ - سولن الاثينى ، ب - وبيوس الفاريثى ، ج - وفثاغورس القورنثى ، د - وفالس الميسوسى ، هـ - وسيلون اللقاذومونى ، و - وفثيطيقوس لسبيوس ، ز - وفيليبوليس لندوس » . ويذكرهم الشهرستانى (الملل والنحل ، ج ١ ص ١١٩) فيقول : « الحكماء السبعة : الذين هم اساطين الحكمة من المظبية وساميا وابنة وهى بلادهم » .. ثم يورد اسماءهم فيخلط خلطا شديدا ، ويدخل فيهم من المتقدمين اكسيمانس وانكسافوراس وانثادوقليس وفثاغورس ، ومن المتأخرين سقراط وافلاطون ، وذلك على نحو ما فعل بعض الرواة فى العصر المسيحى متأثرين بمصادر افلاطونية محدثة ، أما عن آرائهم فيأبى الشهرستانى الا ان يجعل منهم فلاسفة يدور كلامهم « على ذكر وحدانية البارى تعالى واحاطة علمه بالكائنات كيف هى ؟ وفى الابداع وتكوين العالم ، وأن المبادئ الاولى : ما هى ؟ وكم هى ؟ وأن المصاد : ما هو ؟ ومنى هو ؟ وربما تكلموا فى البارى تعالى بنوع حركة وسكون » .

وإذا كان الشهرستانى يتتبع أخبارهم التى أغفلها متأخرو للفلسفة الاسلام ، فان ابن النديم فى الفهرست يشير اليهم إشارة عابرة عند كلامه من أول من تكلم فى الفلسفة مستمدا فى ذلك على أقوال قرفوريوس القسوسى تلميذ افلاطون وكاتب سيرة حياته . ولعل الفكر العربى الوحيد الذى اهتم

بالحكماء السبعة وذكر أسماءهم بدقة وروى بالتفصيل حكايتهم مع الصياد
والمبخرة أو المقعد المثلث القوائم (ويسمى طربوذا من ذهب) كما عني
بجميع اقوالهم وبخاصة اقوال صولون وسيرة حياته المبشر بن فالك (في كتابه
الذي حققه استاذنا عبد الرحمن بدوي وهو مختار الحكم ومحاسن الكلم ،
ص ٣٤ ، في هذا كله كتاب من الميثولوجيا الى الفلسفة عند اليونان
أو بواكير الفلسفة قبل سقراط . للدكتور محيي الدين الألوسي الكويت ،
مطبوعات جامعة الكويت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٥٨ - من ٢٦٧) .

(٤٠) اشارة من بعيد الى الحكيم الطاوي (نسبة الى الطاو أو طريق
الحقيقة وجوهر الأشياء في الفلسفة الطاوية في الصين القديمة) الذي
يشتق عن الانظار بعد أن يحقق الانتصار لشعبه ومدينته ، وبالطبع لا يجبر
الناس على الاحتمال به وهو مهزوم أو بعد هزيمته ! ويقال ان هذا الحكيم
الطاوي هو فان لي ، من القرن الخامس قبل الميلاد . لقد وعدوا ان
يهدوه نصف المملكة لو رجع من الحرب منتصرا وعنده جيوش « يويه »
الظافرة . ولكنه ركب بعد تحقيق النصر مركبا خفيفا الى مكان مجهول ولم
يسمع به احد بعد ذلك ابدا . . (راجع ترجمة كاتب السطور لكتاب
تاو - تي - كنج ، الطريق والفطيلة ، سلسلة الافد كتاب ، القاهرة ،
١٩٦٧ ، ص ٢٤ .

رقم الايداع ٢٨١١ / ١٩٩٠

الترقيم الدولى ٦ - ٢٤٢٠ - ٠١ - ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

جری العرف علی اعتبار الکتب الّتی تتناول الحکماء
والفلاسفة کتباً متخصصة لا تجذب القارئ العادی
ولا تثير اهتمامه ؛ ولكن ما أبعد هذا الکتاب عن ذلك ،
فهو فضلاً عن موضوعه الجاد العمیق يتميز بجاذبية
شدیدة تغری القارئ العادی بأنه ينهل من أسلوبه
العذب السلس وبساطته الأسرة . فالكاتب یمزج بارتقان
شدید بین الشعر والصوار المسرحی والمصاورات
الفلسفية ، فیجمع بین الهدف التعليمی والامتناع الفنی ،
وبذلك یكون قد حقق ما یرمی إليه وهو قراءة الحکم
الماضية علی ضوء الحاضر .

To: www.al-mostafa.com